المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الحادي والسبعين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٧ — الموافق ٧ جماد الثاني سنة ١٣٤٦

نقل القوة الكهربائية لاسلكيا

فاتحة عصر جديد في استخدام الكهربائية

انوار تنار ، وطيارات تطير ، ومعامل تدور ، واطعمة تطبخ ، بقوة كهربائية تبث في الفضاء لاسلكياً وتستمد منه لاسلكياً

تتلو غرائب اللاسلكي بعضها بعضاً بسرعة تحير الالباب . فالامواج الكهربائية اللاسلكية تستعمل الآن في اوربا واميركا لاذاعة الخطب والانباء والقصص والاغاني والموسيقى على انواعها فيلتقطها كل من يملك آلة مستقبلة . وهي تستعمل كذلك في نقل الصور من بلاد الى بلاد وفي المخاطبات التلفونية بين اوربا واميركا وفي الرؤية عن بعد وما يرتبط بها من الرؤية في الظلام على ما يُسمّى بالاسهاب في اجزاء المقتطف السابقة

ولكن كلّ هذه الغرائب على غرابتها وأثرها الكبير في العمران تتضاءل امام الاستنباط الجديد الذي يجدّ العلماء في تحقيقه وهو نقل القوة الكهربائية لاسلكيًا من محطات منتشرة على وجه الارض فتلتقط امواجها آلات مستقبلة صنعت لذلك ثم تستعمل في قضاء مآرب الانسان . فتستغني المعامل حينئذٍ عن مولّدات الكهربائية فيها ، والسيارات عن آلات البنزين والاحتراق الداخلي ، والمصابيح الكهربائية عن الاسلاك التي تصلها بمستودع الكهربائية العمومي اذ يصبح في الطاقة حينئذٍ ان تستمدّ القوة الكهربائية من الفضاء بعد اذاعتها من المحطات المذكورة آنفاً بآلات تصنع خاصة لهذا الغرض

وليس هذا الرأي من بنات الخيال ولا من قبيل التمني . بل هو لدى العلماء

والباحثين حقيقة راهنة لم يبق أمامهم سوى التوسُّع في تحقيقه حتى يستطاع استعماله على وجهٍ تجاري . فقد اثبت الدكتور فيلبس توماس احد المهندسين المنقضين لبحث الكهربائي في شركة وستنهوس الكهربائية الاميركية في خطبة خطبها امام جماعة من المهندسين الاميركيين في يونيو الماضي ان ما ذكرناهُ قد خرج من حيز الفكر الى حيز العمل. فانهُ اخذ بيده مصباحاً كهربائيًّا غير متصل بشلك ما ولكنهُ متصل بقضيب من النحاس طولهُ نحو متر ووقف على مسافة مترين من انبوب مفرغ فلما أُديرت الآلة المتصلة بالانبوب المفرغ وخرجت منهُ تجاري القوة الكهربائية التقطها القضيب النحاسي من الفضاء فأنار المصباح الكهربائي المتصل بهِ

اما مبدأ نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا فقديم قال بهِ هرتز العالم الكهربائي الالماني الذي يصح ان يدعى بحق « ابو اللاسلكية » . وتلاهُ نقولا تسلا المستنبط المشهور فابتكر نظاماً لنقل القوة الكهربائية من غير اسلاك وقد انفقت عليهِ بضع سنوات بمتحنهُ. وهو الآن مكبٌّ على وضع تصميم لبرج كهربائي ضخم يبنى على مقربة من شلالات نياغرا وتبعث منهُ القوة الكهربائية لاسلكيًّا . كذلك كان الدكتور شارل شتينمتز — وكان يحسب قبل وفاتهِ منذ سنتين من ابرع الكهربائيين في اميركا — ثابت الاعتقاد بانهُ لا بدَّ من ان يجيء عصر يصبح فيهِ نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا من الامور المألوفة وقد اقترح طريقة لتحقيق ذلك . واما السنيور مركوني منشئ المخاطبات اللاسلكية على وجه تجاري فيقول ان نقل القوة الكهربائية لاسلكيًّا امر قريب التحقيق

***

ولا يخفى ان مركوني يحاول منذ زمن استعمال امواج لاسلكية قصيرة للتخاطب اللاسلكي لانها تخضع لناموس الانعكاس الذي تخضع لهُ اشعة النور على ما اثبتهُ هرتز. وقد بنى حاكساً كهربائيًّا مغنطيسيًّا مقعراً وراء المحطة التي يذيع منها الامواج القصيرة فاستطاع ان يوجهها الى الجهة المطلوبة . وبعد تجارب وامتحانات كثيرة بنى على هذا المبدإ نظاماً لاسلكيًّا جديداً يعرف بنظام البيم "beam" وقوامهُ توجيه الاشعة باستعمال اشعة لاسلكية قصيرة وعواكس مؤلفة من اسلاك دقيقة ممدودة بين اعمدة تعتمد عليها وتحيط بالمحطة المرسلة واسلاكها الهوائية في شكل اهليلجي[1] . وقد تعاقدت شركتهُ مع مصلحة البريد الانكليزية فأُستعمل هذا النظام في ارسال الاشارات اللاسلكية من

(١) راجع تفصيل هذا النظام في مقتطف ابريل الماضي صفحة ٤١٨

هرتز « ابو اللاسلكية »
مقتطف دسمبر ١٩٢٧
امام الصفحة ٣٦٢

الدكتور توماس مجرب التجربة المذكورة في صفحة ٣٦٢

لندن الى كندا ومن لندن الى استراليا فنجح نجاحاً باهراً وهو اقل نفقة من النظام المستعمل الآن لان القوة الكهربائية اللازمة لاذاعة الامواج القصيرة اضعف من القوة اللازمة لاذاعة الامواج اللاسلكية الطويلة المستعملة في المخاطبات التلفونية الشائعة بين اوربا واميركا. وهي كذلك اوضح اشارة لان الامواج الموجهة في جهة واحدة افعل من الامواج المنتشرة في كل الجهات . فاذا كان في الامكان جمع الامواج اللاسلكية وتوجيهها فلا يتعذر على العلماء جمع امواج القوة الكهربائية وتوجيهها ايضاً

***

وقد جاء في جزء دسمبر من المقتطف سنة ١٨٩٩ في وصف مباحث نقولا تسلا ما نصهُ : « تمكن الاستاذ نقولا تسلا من توليد الكهربائية وجعلها تخترق الجدران وتنير المصابيح وهي غير متصلة بها ولا يبعد انا تمكن عن قريب من ارسال الكهربائية من مكان الى آخر بدون اسلاك وبدون موصلات » ثم عُقب عليه في جزء ابريل سنة ١٨٩٢ في بحث مستفيض جاء فيه : —

« ومن رأي الاستاذ تسلا انهُ يمكن توليد هذه الكهربائية فوق البيوت والمدن حتى اذا وجد فيها آنية زجاجية مفرغة من اكثر هوائها انارت كما تنير المصابيح الكهربائية . . . فاذا حققت الاماني التي تعلق على هذا الرجل وغيره من الباحثين في هذا الموضوع انتقل الناس من حال الى حال في جميع اعمالهم وشؤونهم الصناعية والصحية والاجتماعية . . . ويعيش الانسان في جوٍّ مشحون بالكهربائية . . فيستخدم ما شاء منها بلا تعب ولا مشقة »

كان ذلك قبلما كشفت الكهارب وعلاقتها ببناء المادة وطبيعة الكهربائية وقبلما تمكن مركوني من استخدام امواج هرتز الكهربائية في نقل الاشارات التلغرافية وقبلما تمكن جمهور العلماء والباحثين في مختلف البلدان مثل لودج ومركوني وبرانلي وفلمنغ وده فرست وبارد وغيرهم من استنباط الانبوب المفرغ واستخدام الامواج اللاسلكية في المخاطبات التلفونية اللاسلكية ونقل الصور الفوتغرافية والمرئيات ذاتها . اما وقد تحقق كل ذلك فان نقل القوة الكهربائية على المنوال الذي ذكرهُ تسلا منذ ٣٥ سنة اصبح على قيد انملة منا

***

هذا وقد اثبتت التجارب ان طبقات الهواء العليا هي اصلح موصل لامواج القوة

الكهربائية لانها لطيفة فلا تفقد الامواج كثيراً من قوتها في اختراقها كما يحدث لها لدى اختراق الهواء عند سطح الارض . وعليه اقترح المهندس الانكليزي هيو يفرد ان تبنى ابراج ضخمة على قنن الجبال الشاهقة — كقنة جبل مكنلي في الاسكا وجبل هوتني بكاليفورنيا ومون بلان في فرنسا وغيرها في مختلف البلدان فتذاع منها القوة الكهربائية امواجاً خفية فيلتقطها الانسان متى شاء ويستخدمها في قضاء ما ربه

وقد ارتأى المهندس يُلرد ايضاً ان يبنى برجان من هذا القبيل احدهما على مقربة من القطب الشمالي والثاني على مقربة من القطب الجنوبي لان طبقة الهواء اللطيفة هناك اقرب الى سطح الارض منها في المناطق الاستوائية والمعتدلة فلا يلزم حينئذٍ بناء الابراج على قنن الجبال . وقد اثبتت رحلات الروّاد الى الاصقاع المتجمدة ان في اراضيها كثيراً من الفحم وبعض البترول ولا يستطاع الاستفادة منهما الآن لان استخراجهما ونقلهما الى البلدان العامرة كثير النفقات . فاذا اقيم بعض هذه الابراج في الاصقاع المتجمدة امكن الاعتماد على ما فيها من وقود مطمور في ارضها لتوليد الكهربائية اللازمة

ويرى الدكتور توماس ان الاعتماد في نقل القوة الكهربائية لا سلكيًّا يجب ان يكون على الامواج القصيرة وغايته ان يتمكن من استنباط آلة تولّد امواجاً لاسلكية قصيرة جداً من غير ان تفقد من قوتها ما يجعلها عديمة النفع . ثم يوجهها في شعاعة سمتها اربع بوصات بعدما يجمعها ويعكسها عن مرآة معدنية مقعرة : فاذا تمّ له ذلك اقام في بلدة من البلدان بضعة ابراج تبعث اشعتها في كل الانحاء فتتقاطع الاشعة ويصبح الجوُّ حافلاً بالكهربائية فتستطيع كل ربة بيت ان تستعمل آلة تقابل القضيب النحاسي الذي استعمله الدكتور توماس لتستمد بها القوة الكهربائية من الفضاء وتستعملها في قضاء اعمالها من طبخ وكنس وانارة وما اليها كما تلتقط الانغام او الخطب من الفضاء بآلة لاسلكية مستقبلة

والعقبة الكبيرة التي تقف الآن حائلاً دون نجاح الدكتور توماس هو توليد امواج قصيرة جداً الى حدٍّ لا يضعف فعلها الكهربائي . فالامواج القصيرة لازمة حتى يكون جمعها وعكسها وتوجيهها والتقاطها سهل المنال . وهذا الامر رهن البحث والتحقيق . ولا بدَّ من ان يعنى العلماء بابتكار الوسائل للتحكم بهذه الامواج والسيطرة عليها لانها اذا جمعت وارسلت في شعاعة واصابت احداً من الاحياء في اثناء انبعاثها من ابراجها قتلته شر قتلة فهي في الحرب اداة فتك وفي السلم ركن من اركان العمران

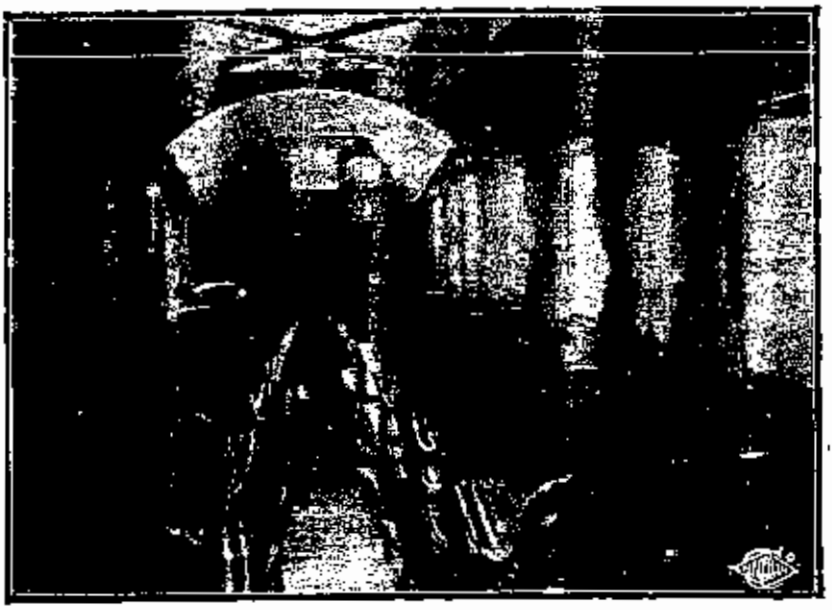

داخل الطيارة التي طار بها كاتب هذه المقالة من لندن الى باريس

احدى الطيارات الانكليزية التي تنقل المسافرين بين لندن وباريس

مقتطف دسمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٣٦٥

الجناح الفضي

رحلة جوية بين باريس ولندن

مهما قيل في مخاطر الطيران فوق المحيط الاتلنتيكي والممالك التي يتعرض لها رجال الطيران في الجيوش الاوربية والاميركية ، فلا شكَّ في ان الطيران التجاري في اوربا صار امراً واقعاً، وقد اصبحت خطوطهُ كخطوط السكك الحديدية منتشرة فوق وجه القارة الاوربية انتشار شبكة، وهي منتظمة المواعيد في القيام والوصول ، أمينة الجانب ، قليلة النفقات وقد اخذ الاقبال عليها يزداد ازدياداً واضحاً في السنتين الاخيرتين حتى ليلزمك ان تشتري تذكرة السفر قبل ميعاد السفر بيوم او يومين

لذلك ما كدت اصل الى باريس في اول اغسطس الماضي حتى ذهبت الى مكتب شركة الطيران الانكليزية (Imperial Airways) في شارع ادوار السابع بباريس فتلقاني مديرهُ هاشماً باشاً وقال لي: لقد وصلني كتاب من مدير فرعنا في هليوبوليس يوصيني بك خيراً فاي يوم تريد ان تطير من باريس الى لندن وفي اية ساعة من ساعات النهار؟ فقلت : ما هي مواعيد الطيران؟ قال: الطيارة الاولى تبرح مطار لوربورجه حوالي الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين صباحاً ، والثانية تبرحهُ في الساعة الثانية عشرة، والثالثة في الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر. فقلت: اذاً اريد تذكرة على الطيارة التي تبرح لوربورجه حوالي الظهر وهي المعروفة بطيارة الجناح الفضي Silver Wing لما يتوافر فيها من اسباب الرفاهة فاعطاني التذكرة وقال لي : الاجتماع امام فندق ادوار السابع في شارع الاوبرا في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين ومن ثم نذهب معاً الى لوربورجه في سيارة الشركة فشكرت لهُ لطفهُ وودعتهُ وانصرفت

***

الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثون . اقبلتُ على فندق ادوار السابع ومعي حقيبة لا يقلُّ وزنها عن ٤٠ كيلو وانا غير واثق من امكان اصطحابها معي ، فاذا انا امام سيارة كبيرة فاخرة الاثاث وعلى ظهرها من حقائب المسافرين ما حيَّر ليَّ اذ جعلت اسأل نفسي ، وهل تتسع الطيارة ايضاً لمثل هذه الامتعة . واستقبلني على الرصيف مندوب الشركة فحيَّاني وطلب ان ارى تذكرتي فاريتهُ اياها . ولما ازفت الساعة

المعينة صعد الواقفون امام السيارة اليها فاذا هم ثمانية عشر شخصاً نصفهم سيدات وكنت قد طرت باحدى طيارات الشركة في هليوبوليس فكنا عشرة حين طرنا اذ لم تتسع الطيارة لاكثر من ذلك فذهبت فريقاً من الراكبين معنا في السيارة ذاهباً لتوديع اصدقائهم ولكن اخطأ ظني لان في بعض الطيارات التي تسيّرها شركة امبريال اروبز بين لندن وباريس متسعاً لثمانية عشر من الركاب وسائقين وخادم. وقد كانت تسع عشرين راكباً قبلاً فأزيل مقعدا راكبين منها واقيم مكانهما « بار » يحتوي على كل ما يتطلبهُ المسافر من الاشربة الروحية وغيرها

وصلنا لوربورجيه بعد مسيرة اربعين دقيقة فدخلنا مكتب الشركة حيث وُزن كل راكب مع ما يصحبهُ من الامتعة ،وكانوا اذا زاد وزن الامتعة عن ثلاثين كيلو يطلبون الى المسافر ان يدفع بحو غرش صاغ ونصف غرش صاغ عن كل كيلو زائد . ويجب ألا يزيد مجموع وزن المسافرين والسوّاقين والخادم والامتعة عن الوزن المقرّر للطيارة. وبعد ذلك اخذ احد الموظفين الفرنسيين جوازات السفر فختمها ثم انتقلنا الى الطيارة وكانت الامتعة قد سبقتنا اليها فدخلناها ثابتي الخطى لثقتنا بسلامة الذهاب والاياب ولاعتمادنا على مستحدثات العلم والصناعة . وكان بعض المسافرين قد اشتروا علباً تحتوي كل علبة منها على غذاء فاخر فتناول طعام الغداء في اثناء الطيران

وما لبثنا قليلاً حتى اقفل الباب ودارت المحركات فاحدثت صوتاً يصمّ الآذان ، فالتفتنا امامنا ووجدنا في ظرف مختوم قليلاً من القطن المنقم فوضعناهُ في آذاننا فضعف تأثير الصوت فيها قليلاً ، واذا الطيارة تجري على الارض فشعرنا كاننا في سيارة سريعة تجري على طريق ممهّد .ثم ارتفعت في الجوّ فلم نشعر الاّ ونحن على ارتفاع خمسمائة قدم عن سطح الارض . ولم تلبث ان استوت على عرشها فجرت الى هدفها بسرعة تتباين من ثمانين ميلاً الى ٩٥ ميلاً في الساعة وعلى ارتفاع يتراوح بين الف وخمسمائة قدم والف وثمانمائة قدم

كبساط الريح في القدرة او هدهد السيرة في صدق البلاء

اجتزنا فرنسا والبلاد تحتنا خمائل خضراء وجنان نضرة وبلدان عامرة وطرق معبدة وكلما مررنا فوق بلد مشهور مرّ بنا خادم الطيارة ودلّنا على موقعهِ واسمهِ بالاشارة الى خريطة واضحة لشمال فرنسا وبحر المانش وجنوب انكلترا .وبقينا على هذا المنوال ساعتين ونصف ساعة اجتزنا في خلالها بحر المانش وكان ساجياً رهواً فجتازهُ

البواخر ونحن نسخر من بطئها ولونه كالفيرور المصقول هبَّ عليه نسيم لطيف فنسج على سطحه « درعاً من زرد »

نزلنا في كرويدون فتناول احد موظفي الشركة جوازات السفر ومررنا امام مأمور الجمارك فسألنا عما في حقائبنا وطلب الينا ان نوقع ورقة تذكر فيها ان ليس لدينا ما يجب ان يتقاضى عليه عوائد جمركية فكان يقبل توقيع الواحد ويطلب ان يرى امتعة الآخر . كذلك مأمورو الجمارك في كل البلدان التي زرناها لم نظر في الاشخاص الذين يمرون امامهم بمرور الصور المتحركة كسبوهُ من طول الخبرة والمرانة يصدقون قول الواحد ويشكون في قول الآخر وفي الغالب يصدقون . ثم مررنا امام مأمور الجوازات فاتح جوازي حتى سمعت رجلا واقفاً الى جنبه يقول : انت من آل صروف اصحاب المقطم والمقتطف في مصر؟ قلت: نعم قال: كيف الدكتور صروف؟ قلت : لقد فجعنا بفقده منذ ثلاثة أسابيع ، فضرب كفاً على كفٍّ وقال: « خسارة كبيرة » ثم سألني عن الدكتور تمر واسرته ولكن مأمور الجوازات لم يترك لهُ مجالاً للقول فاراد ان يتمادى معي في الاسئلة التي يلقيها عليَّ « ما هي الغاية من قدومك الى لندن» «وكم تنتظر ان تبقى فيها» «وما هو عنوانك» . فقال لهُ رفيقهُ في دعة ولطف: « دعهُ فانهُ ولا شك قادم في عمل يتعلق بسحنهم » فشكرت للرجل لطفهُ وانصرفت

من كرويدن ركبنا سيارة الشركة فسرنا بها مدة نصف ساعة او اكثر قليلاً الى ان بلغنا بناية امبريال ايروز في شارع شارلس قرب ميدان ولتن فتفرقنا هناك وذهب كل منا الى طيته . وهكذا لم تنقض على مغادرتنا باريس ثلاث ساعات ونصف ساعة حتى كنا في قلب لندن العظيمة نجول في شوارعها معجبين بساحاتها وآثارها ومبانيها القديمة والجديدة . ولما عدنا من لندن الى باريس في اوائل اكتوبر امتطينا طيارة مثل الطيارة التي طرنا بها اولاً وكان الجوُّ صافياً والنسيم عليلاً فسارت الطيارة لا تهتز ولا ترتج فاجتزنا المسافة بين لندن وباريس في ساعتين وثماني دقائق طالعنا في اثنائها ثلاث مقالات في مجلة السينتفك اميركان والمجلة الاميركية

وعلى ما تقدم من اعمال هذه الشركة انها تسيّر طياراتها ثلاث مرات كل يوم بين لندن وباريس صيفاً ومرة في اليوم شتاء وقد انقضى عليها ثلاث سنوات وبضعة اشهر اجتازت طياراتها في اثنائها بين باريس ولندن ما يزيد على مليوني ميل ونصف مليون ونقلت نحو ٤٧ الف راكب وما وزنهُ نحو ٢٥٠٠ طن من غير حادثة واحدة تكدر

صفو المسافرين او تعرضهم للخطر . وذلك لان الشركة تعنى كل العناية بالوسائل التي تكفل سلامة الركاب وراحتهم ولان الحكومة الانكليزية تراقب اعمالها مراقبة دقيقة لانها تمدها بالمال. ففي كل طيارة من طيارات « الامبريال اروز » جهاز لاسلكي مرسيل ومستقبل وفي كل دقيقة من ساعات السفر يستطيع السواق ان يبقى متصلا بانباء الجو التي تذاع لاسلكيًّا من المطارات الكبيرة كمطار لوربوروجه وكرويدن وغيرها . فاذا غادر السواق لندن والجو صافي الاديم والهواء عليل وكان الجو في باريس مكفهرًّا والريح عاصفة والغيوم متلبدة عرف الطيار ذلك فادار طيارته على وجه يكون اكفل لسلامة الركاب . واذا تعذر عليه النزول الى الارض في ساحة المطار لتلبد الغيوم وكثافتها تمكن مدير المطار الذي يقصد اليه من ان يواصله بكل ما يحتاج اليه من الحقائق حتى يكون نزوله الى الارض امين الجانب

وقد انشأت هذه الشركة حديثاً خطًّا كان لهُ شأن كبير لدى السيدات في لندن . ذلك انها اعلنت انها ستسير طيارة في ايام خاصة من الاسبوع تبرح لندن صباحاً وتعود اليها مساء فكل سيدة تريد الذهاب الى باريس لتشتري ما تحتاج اليه من الملابس وما اليها تستطيع ان تفعل ذلك في يوم واحد فتفطر صباحاً في بيتها بلندن وتتناول طعام الغداء في باريس ثم تعود مساء وتعشى في بيتها فكان الاقبال عليه كبيراً

ومن الصحف الانكليزية صحف تستأجر طيارات خاصة في الصيف لتنقل نسخها الى المصطافين من الانكليز على شواطئ فرنسا وبلجيكا وهولانده. ولما كنا في انكلترا في اثناء الصيف قرأنا في احدى الصحف ان احد راكبي خيول السباق كان قد اتفق على ان يركب حصاناً في سباق يجري في احدى ضواحي لندن وان يركب حصاناً آخر بعد ساعتين او ثلاث في سباق يجري في اوستند ببلجيكا . فركب الحصان الاول الساعة الثانية بعد الظهر في لندن ثم ركب سيارة الى كرويدن فطار بطيارة صغيرة منها الى اوستند فوصلها قبل ميعاد شوطه بنصف ساعة . ولهذه الشركة خطوط اخرى تصل لندن بمدن اوربا عدا طياراتها التي تسير من هليو بوليس الى بغداد فالبصرة . فاذا نظرنا الى اعمال هذه الشركة والى اعمال شركات الطيران التجاري في المانيا وهولانده وغيرها من بلدان اوربا جاز لنا ان نقول مع شوقي حيث يقول :

لسليمان بساط واحدٌ ولهم الف بساط في الفضاء
يركبون الشهب والسحب الى رفعة الذكر وعلياء البناء

امتعة المسافرين تشحن في الطيارة التي تقلّهم

المسافرون ينزلون من الطيارة لدى وصولها الى كرويدن

مقتطف دسمبر ١٩٢٧
امام الصفحة ٣٦٨

الرحلة الملكية الاوربية

وثمارها العلمية والعمرانية

لعل كثيراً من الناس لا يعلمون من اسباب تلك الحفاوة البالغة التي قوبل بها صاحب الجلالة الملك فؤاد في اوربا الا انها اسلوب من المجاملات السياسية التي تتجاذبها الامم ويتداولها الملوك. والحق ان الحفاوة التي لقيها ملك مصر في اوربا جاوزت ذلك الحد السياسي بين الامم والملوك. فان مظاهر الاجلال والتكريم التي استفاضت على الاندية العلمية والادبية والاجتماعية والصناعية وما اليها من مواطن المدنية الصالحة ليس مما الفهُ الناس في مجاملاتهم السياسية للملوك الوافدين. ولقد هبط تلك الممالك التي هبطها الملك فؤاد كثير من ملوك اوربا انفسهم فما كان لهم فيها بعض ما كان لهُ من حفاوة سابغة في كل موطن حلَّ بهِ. وليس يعلم اسباب ذلك الا من تيح لهُ شرف مقابلة جلالته وكان لهُ اثر من الآثار الصالحة في اي موطن من مواطن الحياة العاملة. هنالك ينثني زائرهُ وقد رأى من خلال ذلك الجلال تلك النعمة المذخرة التي يستجم بها خاطرهُ وتسكن اليها نفسهُ وذلك العلم النافذ الذي يملك عليهِ مشاعرهُ ويحيط بكل غرض من اغراضهِ وكل معنى من معانيهِ. ومما نذكرهُ الآن لقاء تلك المناسبة حديث حدثنا بهِ استاذنا الاكبر الدكتور صروف رحمهُ الله قال:

«ذهبت الى قصر عابدين بعد ان حُدِّد لي الوقت الذي انال فيهِ شرف مقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد، وكان اكبر ظني الا تستنفد تلك المقابلة اكثر من خمس دقائق استمع فيها حديث التشجيع السامي والعطف البالغ على المقتطف، ولكن العلم كم لبث في حضرتهِ؟ لقد استطال بنا المقام ساعتين كاملتين تناول فيها جلالتهُ كل غرض ألمَّ بهِ المقتطف، واستفاض فيهِ الى ادق تفاصيلهِ واحدث ما جدَّ فيهِ من تقدم وابتكار. هنالك احسست اني لست في حضرة ملك لهُ من مشاغل الملك وشؤون الرعية ما يملك عليهِ وقتهُ وتفكيرهُ، بل في حضرة عالم ضليع العلم بديع التفكير لم تفتهُ فاتتة من شؤون العلم والادب والاقتصاد والاجتماع»

وذلك الذي رآهُ الدكتور صروف من جلالة ملك مصر هو الذي رآهُ عظماء اوربا وعلماؤها الذين وفدوا الى مصر ونالوا شرف مقابلتهِ

«وانا لمن في شجون الحديث امعاناً بعيداً اذا تكلمنا عن النفحات المالية العظيمة

وضروب العطف والتأييد التي نالها العلماء والروّاد من جلالته . وكثير من الكتب العلمية الذائعة في ارجاء العالم الحديث صدرت بالتنويه بما لجلالة الملك فؤاد عليها من الفضل العظيم في تأليفها واذاعتها

لذلك كله سُبقت رحلة صاحب الجلالة بدعاية واسعة النطاق من علماء اوربا وكتابها الذين يعلمونهُ حق العلم ، ونهضت المجلات التي تصدرها الاندية العلمية تكتب الفصول الطوال في جلال اثر الملك القادم على كل شعبة من شعب الحياة الصالحة

ولقد تنتشي نفس المصري بعاطفة ثمن الفخر والاعجاب حين يستمع لما قالهُ مكاتبو الصحف الانجليزية بعد اجتماعهم بجلالة الملك في مأدبتهم التي أعدوها لهُ . فقد قال بعضهم : انهُ لم يرَ ملكاً من ملوك اوربا اوتي ما اوتيه الملك فؤاد من نفاذ الرأي وسعة الاطلاع . والذين اقتصدوا في الحديث قالوا انهُ فاق كثيراً من ملوك اوربا في الاحاطة بالحياة العالمية والنفاذ الى ادق اسرارها واجمع مظاهرها . ومن قبل ذلك وقف الاستاذ العالم لوروا بوليو Beaulieu في احد المؤتمرات الاقتصادية في السربون فاثنى على منشئي جمعية الاقتصاد والتشريع وصاحب اليد الغراء فيها اذاعتهُ في ارجاء العالم من ابحاث وآراء ثناء اعجاب واحترام . وما كانت تلك الجمعية الا ساحة من سوانح صاحب الجلالة تجمها فكرهُ ورسمت منهاجها يدهُ . كانت اذاً تلك الدعاية القوية اعظم ما جمع القلوب على الاحتفال بجلالة الملك وحفز المشاعر الى الالتفاف حولهُ

ولعل من التقصير في حق تلك الرحلة الموفقة ان نقتصر من تناجيها على الاشادة بذكر مصر والتنويه بامرها وتوثيق الصلات بين الشعب المصري وشعوب المدنية الحديثة ، فان جلالة الملك رأى من شؤون الابتكار في الزراعة والصناعة والعلم والآداب ما وصل الى اعماق ذلك كله ، واذا عرفت حب جلالته لان يرى امتهُ في مصاف الامم العظيمة رأيت من تلك الرحلة بادرة نهضة سامية ومقتبل تثقيف حصيف

وسنرى من بكرة تلك النتائج العظيمة هذين المشروعين اللذين اعتزم صاحب الجلالة البدء بهما ، واولهما عقد مجمع علمي عظيم يضم صفوة الناطقين بالضاد من الشرقيين والمستشرقين ليأخذوا يد اللغة العربية الى نهضة مهذبة كتلك التي قام بها العباسيون في مبتكر عهدهم ، وكانت مناط فخر العرب ومشرق عظمتهم ، بل كانت مشرق عظمة العلم ومبعث فجر المدنية الحديثة . ولقد كان انشاء ذلك المجمع امنية ما زالت تخفق بنفوس العلماء منذ عهد اسماعيل العظيم ، بل لقد عملوا على القيام به في آماد مختلفة فلم يوفقوا

لانهم لم يجدوا من الرعاية والتشجيع ما يكفل لعملهم الحياة السامية وابقاء الوطيد . اما الآن وقد اعتزمهُ صاحب الجلالة الملك فؤاد فانا نهنيء العالم بانبثاق نور الشرق واتساقه في مجال الحياة الصاعدة والمدنية الحديثة

اما المشروع الثاني فمعرض افريقي عام يقام في مدينة القاهرة ، ولهذا المشروع حديث قديم ، فمنذ ستة عشر عاماً ابتكر صاحب السمو الامير احمد فؤاد (جلالة الملك) مشروع معرض يكشف من القارة الافريقية المحجبة كل ضروب الحياة والعمل والانتاج ليجلو للعلم والتاريخ والاقتصاد في مكان واحد أفضل ما تتفق الاعمار في ابتغائه واجتنائه ، ويثبت ما للمدنية المصرية في أطوارها المختلفة من خطر البيان وسمو المكان ، وكان يعلم بحق أن معرضاً عالمياً يكشف للناس مظاهر إفريقية ومكانها ، وما تم من ضروب الحياة فيها ، وما يطلبهُ العلم والتاريخ من درسها لا بد أن يكون مثار اهتمام العالم بأسره ، فان هذه القارة التي بدأت المدنية الغربية تشارفها من بعض أطرافها لا تزال مطمح أنظار العالمين لما تحويه غياضها وغاباتها ومراتع وحشها وأكنان صدرها من خير مذخور ويسر موفور . وان اتساع مصر لاقامة هذا المعرض لآية ناطقة على جدها الدائب في بلوغ ما تصبو اليهِ من غاية وما تسمو لهُ من منزلة . واي بلد أولى بهذا المعرض من ذلك البلد المتألق في جبين أفريقية والذي اجتمع فيهِ من اشراق الجو واتساق الموقع وطيب المقام ما لم يجتمع لبلد من بلاد افريقية ولا لقطر من أقطار الشرق قاطبة . واذا كان الاوربيون قد أتيح لهم أن يروا في معارضهم جانباً افريقياً يحوي طرائف ما اجتلبوهُ من إفريقية فما كان ذلك الا فكاهة يتفكه برؤيتها الزائرون ، وعلى الرغم من اتساق ذلك الجانب من المعارض الاوربية وحسن روائه لم يكن هناك الا أفانين من عجائب افريقية وملهياتها ، وهي تفاريق مختلفة لا تكاد تجمعها جامعة وليس فيها من روح التعميم بين أجزاء الفصيلة الواحدة ما ينقع غلة العالم ويمكنهُ من استحداث رأي صريح وحكم صحيح

ولكن المعرض الذي ابتكر فكرتهُ الامير فؤاد يكشف من إفريقية قديمها وحديثها ، وبدنيها ودنيها ، وباديها وحاضرها ، وعامرها وغامرها ، وما اختلف من ضروب حياتها ومدارج مدنها وغلات ارضها وأشتات صناعتها وكل ما يهم العلم والتاجر والسائح من أمرها . ففيهِ تمثل على الخرائط فتوح مصر في إفريقية وما سار تلك الفتوح من رود المواطن وكشفها ، وفيهِ تظهر خطوات المدنية في انشاء المدن ونهج الطرق وما

درج فيه كل ذلك من منازل الرقي في أثنات الزمن . ومما يعرض فيه من وسائل الاتصال قناة السويس ودروج خطاها منذ احتفارها ومدى ما يرجى من تقدمها وغاية ما يصل اليه العلم من امر مستقبلها . وفيه تجد ناس تلك القارة على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وملهم ونحلهم وضروب حياتهم ومتشعب عاداتهم ومختلف اعمالهم ونماذج منازلهم ومعايشهم مما يجتلب انظار الجماهير بينما هو يستثير فكر علماء طبائع الامم وتاريخ الانسان ويمكنهم من دراسة مثمرة تنهج لهم سبيل الحكم الحاسم الصحيح . وفي قسم انتشار الماء تعرض انواع السمك في مختلف مواطنه من افريقية ومبلغ ما بذل وما سيبذل من الجهد في تنميته وتربيته واستكثاره وضروب الصناعات الخاصة به . وفي قسم الزراعي يعرض ما تخرج افريقية من حب وثمر ومانهج من السبل لري الارض وضبط الماء واحتفار مجاريه واسلوب تصريفه وما بذل في سبيل تزكية الغراس واصلاح المغارس من جهد وما شرع له من سبيل . اما الحيوانات الافريقية فان لها جانباً واسع النطاق بما يحويه من مختلف نتاجها ونفاسة قيمتها ، فهناك سن الفيل وريش النعام وجلود الحيوان وفراء الوحش واشباه ذلك كثير لاحدّ له . وعلى الرغم من تأخر الصناعات الافريقية فقد يكون قسمهُ الصناعي كثير المرافق موفور النواحي

وهنالك في اظهر جانب واعزّ قسم لآثار مصر التليدة في العهد الفرعوني وآخر لحدثانها في العهد الفاطمي وما يليه من دول المماليك

وكان موعد افتتاح ذلك المعرض الذي يرفع مصر في عيون امم المدنية الحديثة الى أسمى مكان في ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ وقد أوذنت بذلك الدول فوافقت عليه واشتركت في لجنة تأسيسه . ولكن الامر في التقدير والله في التدبير . فقد توالت الحوادث الجسام في اوربا حتى أسلمتها الى الحرب العظمى واحتجب الامل وأُجّل المشروع

هذه صورة المعرض الذي حملت الينا الانباء وصاحب الجلالة الملك في اوربا خير عزمه اعزهُ الله على اقامته في القاهرة . واذا كنا في حاجة الى الدعاية لمصر فان ذلك المعرض خير أنواع الدعايات لها لما فيهِ من اظهار ماضيها وحاضرها وأملها العظيم في غدها

اذاً فاننا نستمد تلك الرحلة السعيدة فاتحة عصر جديد في تاريخ مصر الحديثة ونعد هذين المشروعين باكرة خير عظيم ومشرق عهد سعيد يحوطهُ ويظلهُ الملك العادل العالم العطوف الرحيم احمد فؤاد حفظهُ الله وأتم لمصر في عهده خير ما يرجى لها من عز واقبال

« مؤرخ »

ما يجب على المعلم

رسالة للمرحوم الدكتور صروف لم تنشر قبلاً

[في اوائل الربيع الماضي طُلب الى المرحوم الدكتور صرُوف ان يزور القدس الشريف ليلقي خطبة في جمهور من اساتذة فلسطين فاعتذر عن تلبية الطلب ولما الحّوا عليهِ كتب الرسالة التالية لتتلى في الاحتفال الذي ينوى عقدهُ. ولكن يظهر انهُ نسيها فبقيت مطويّة بين اوراقهِ الى ان عثرنا عليها في الشهر الماضي فرأينا ان نذيعها لقراء المقتطف لما فيها من قواعد حكيمة وآراء صائبة هي خلاصة اختبارهِ وبحثهِ في شؤون التعليم والتهذيب مدى ستٍ وخمسين سنة]

اخواني اساتذة مدارس فلسطين

طُلِب مني ان اكتب لكم شيئاً عن اختباري في التعلّم والتعليم فاعتذرت عن اجابة الطلب لان موضوعاً مثل هذا يشتمل ضرورة على كثير من الانانية ولكن الطالب لم يعفني بل ألحّ في الطلب الى ان وعدتهُ باجابة طلبهِ. ولا اراني في سعة من الوقت ولا في مقدرة من الصحة لابحث في هذا الموضوع طويلاً ولكن الذي اقترح عليَّ الكتابة فيهِ عفاني من التطويل وقال حسبي ما يملأ صفحة او صفحتين. فهل استطيع ان ادبج في صفحة او صفحتين ما لا يتسّع في مجلد كبير ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ

***

تتمثل امامي الآن حادثتان وقعتا لي وكان لهما شأن كبير في نفسي. لما كنت اطلب العلم في مدرسة عينية بلبنان كان احد معلميَّ فيها من اطيب الناس قلباً واشدهم تديُّناً وكان في ارض المدرسة حديقة صغيرة تمنح لمن يشاء من التلاميذ ان يختط قطعة منها ويزرعها كما يشاء فاختارت قطعةً مساحتها نحو متر مربع وزرعت فيها خيّاراً وبطاطساً. واراى الآن ان ذلك اهم عمل سُمح لي ان اعملهُ في صباي. واتفق ذات يوم وكان يوم احد اني رأيت زراعتي ذبلت من العطش فاتيت بابريق ماء ورويتها ورآني ذلك المعلم فانتهرني لاني رويتها يوم احد قائلاً ان هذا مخالف لوصية الله. فاجبتهُ على الفور ان الله يمطر النبات يوم الاحد كما يمطرهُ في غيرهِ. وكان يحسن بهِ حينئذٍ ان يبشّ في

وجهي ويقول مثلاً « ان الله امرنا بالانقطاع عن العمل في يوم الراحة وهو لا يأمرنا الا بما فيه نفع لنا اما اعمالهُ فهو ادرى بها منا » لكنهُ لم يفعل ذلك بل بدت عليه علامات الغيظ من جوابي لهُ وفرض عليَّ قصاصاً كنت اكرههُ اشد الكره وهو ان اكنس الغرفة التي انام فيها اسبوعاً كاملاً . كان هذا المعلم قليل الحيلة فاتل الرأي ترك التعليم بعد حين ولم يفلح في عمل من الاعمال التي تعاطاها وتمرَّض بقلة حكمته لمرض قضى عليه . وقد تعلمت منهُ ان لا احذو حذوهُ

***

الحادثة الثانية حدثت لي وانا في صف المتين في المدرسة الكلية (جامعة بيروت الاميركيَّة الآن) كنا اربعة ننام في غرفة واحدة واتفق ذات ليلة اننا جلسنا نلعب بالورق لعباً بسيطاً للتسلية وكانت ليلة احد ولا دروس في اليوم التالي تستدعي ان نستعد لها . وتمادينا اللعب فبقينا فيه الى الصباح ورفاقي الثلاثة يدخنون والتدخين محظور في غرف النوم . ودخل الرئيس الدكتور دانيال بلس غرفتنا في الصباح وانا فيها فشمَّ رائحة الدخان والبزول ورأى ورق اللعب فعبس وقال « تدخين في غرفة النوم ولعب بالورق الى الصباح ! » فقلت لهُ اني لا ادخن ولكنني لعبتُ وهذه آخر مرة امسك الورق فيها ومسكت الورق ومزقتهُ ورميتهُ من الشباك فزالت العبوسة من وجهه وقال احسنت وخرج . ومضت سنون كثيرة بعد ذلك وانا اتذكر وعدي لهُ ولا امسك الورق بيدي . ومثل هذا الشمم الممزوج باللطف كان ذلك الرئيس العظيم يعامل تلاميذ الكلية فاستفادوا كلهم من اخلاقهِ العالية ما يذكرونهُ بالشكر الجزيل

***

واذا راجعت ما اتذكرهُ من سير الذين علموني والذين علمتهم منذ كنت اتعلم مبادىء القراءة الى ان تركت التعليم من نحو اربعين سنة اني استنتج منهُ النتائج التالية

الاولى ان تهذيب الاخلاق اهم جدًّا من تثقيف العقول . وهذا التهذيب يقتضي ان يكون المعلم على خلق عالٍ لا يكذب ولا يرائي ولا يداهن مترفعاً عن الدنايا يستعمل الشدة في محلها واللين في محلهِ . فاذا كان كذلك سهل عليهِ ان يهذب اخلاق تلاميذهِ لانهم يصيرون يقتدون بهِ ويحبونهُ ويحبونهُ . واذا كانت اخلاقهم فاسدة لا تصلح فاخراجهم من المدرسة ينفع غيرهم ولا يزيدهم ضرراً ومدرسة العالم تصلحهم او تحطمهم واسمى الاخلاق الفاضلة الصدق والشمم والشهامة

الثانية ان اكرام النفس في المنزلة الثانية بعد تهذيب الاخلاق. كل ولد اذا فسح لهُ في الاجل صار عضواً عاملاً في الامة لنفعها او لضرها فعلى المعلم ان ينظر اليه هذا النظر وهو من هذا القبيل كالبستاني الذي يرى نبتةً صغيرة من التفاح او البرتقال فلا يحتقرها لصغرها بل ينظر الى ما تصير اليه فيربيها ويهذبها ويتعهدها بكل ما ينبغي حتى تأتي بثمر جيد غزير واضرّ شيء بالتلميذ ان تظهر احتقارك لهُ. فاذا عمل عملاً يستحق الاحتقار فاظهر احتقارك للعمل لا للعامل واجتهد حتى تجعلهُ ينظر اليه كذلك ويأنف منهُ واذا عمل عملاً مجيداً فامدحهُ لهُ وامدحهُ عليه

الثالثة انهُ يطلب من المعلم تقوية ابدان التلاميذ وحفظ صحتهم بالحث على الرياضة البدنية ونهيهم عن كل ما يضعف الجسم او احد اعضائه ولاسيما العينين . ولا مانع من ان يشاركهم في بعض الالعاب الرياضية اذا كان يحسنها ولكن لا يليق به ان يتبذل او يظهر انهُ اضعف من تلاميذه لئلا تقلّ هيبتهُ في نفوسهم

الرابعة ان تثقيف العقل يأتي بعد كل ما تقدم ولو كان المفهوم ان تثقيف العقل هو الغرض الاول المقصود بالذات من التعليم لان من يأتي الثلاثة الاولى اي تهذيب الاخلاق واكرام النفس وقوة البدن يصير عضواً عاملاً مفيداً في المجتمع الانساني ولو كان اميًّا ولكن اكبر العلماء والفلاسفة لا يستفيد ولا يفيد اذا كان فاسد الاخلاق صغير النفس عليل الجسم

***

وتثقيف العقل يتناول اموراً كثيرة وحسبي ان اشير الى اثنين منها اراهما في الدرجة العليا من الاهمية . الاول التوفر على تعلّم اللغة الوطنية او بذل المعلم همتهُ لكي يعلّم تلاميذهُ لغتهم حتى يحسنوا فهمها وكتابتها لا لان اتقان اللغة يفيد المرء فائدة كبيرة كاتقان صناعة الطب او صناعة المحاماة بل لان من يحسن لغتهُ يزيد اكرامهُ لنفسه واعتزازهُ بها ويصير اقدر من غيره على فهم ما يقرؤهُ من العلوم والفنون. ويقوم اتقان اللغة بمطالعة نفائس الكتب نثراً ونظماً واستظهار الكثير منها ودرس قواعد الصرف والنحو والبيان والتمرّن على الكتابة الصحيحة

والامر الثاني قرن العلم بالعمل في المدرسة. فاذا كان العلم لغةً وجب ان تقرن معرفة قواعدها بالتمرن في التفكيك والاعراب والانشاء الصحيح . واذا كان حساباً فيجل

المسائل المختلفة ولاسيما ما يتعلّق منها بالاعمال العادية تجارية كانت او مساحية . واذا كان جغرافية فبرسم الخرائط وكتابة وصف البلدان وهلمّ جرًّا

وهنا اسمحوا لي ان اروي لكم نادرة تعلّقُ بي وكان لها الشأن الاكبر في حياتي لما انتسبتُ مدرس الفلسفة الطبيعية في المدرسة الكلية سنة ١٨٧٣ دعتني عمدة المدرسة لتدريس هذا الفن فيها وكنت صغير السن قليل الاختبار واساتذة العلوم العالية مثل فان ديك وورتبات من كبار العلماء وانا تلميذهم واصغر من اولادهم سنًّا فسألت الرئيس بلس عما اخطر لي على بالهِ حتى اختارني لهذا المنصب الرفيع فقال : «الا تتذكر انك وانت تلميذ في السنة الثالثة ذهبت مع اخوانك الى النزهة قرب بيروت وصنعت هناك آلة من القصب تدور بانصباب الماء فيها وخروجهِ منها على مبدإ طاحونة باركر» قلت بلى فقال : «من ذلك الوقت رأيت انك تحب العلوم الطبيعية وتدرك مبادئها وتميل الى العمل بها ومن كان كذلك يحسن تعلمها وتعليمها». فشكرتهُ وزدت رغبة في الدرس والتدريس وبذلت جهدي حتى اجعل تلاميذي يقرنون العلم بالعمل فصنع واحد منهم آلة كهربائية وجرساً كهربائيًّا وانا ادرّسهُ الطبيعيات منذ نحو خمسين سنة . ومما يذكر من هذا القبيل اني والتلميذ في مدرسة عبيه نسخت ملحمة الاعراب وشذور الذهب فزدت رغبة في اللغة ثم لما انتقلت الى المدرسة الكلية طلب مني رئيسها ان ادرّس احد الطلبة مبادئ الصرف والنحو فانجلت لي قواعدها بالتدريس اكثر مما انجلت وانا ادرسها

ومما يستحق الذكر هنا ان المعلمين في المدارس القروية التي كانت منتشرة في لبنان منذ اكثر من ستين سنة كانت تكل الى الكبار من التلاميذ تعليم الصغار منهم . وهذه الطريقة احكم الطرق فان الولد الذي يعلّم غيرهُ يصير يحترم نفسهُ فضلاً عن ان ما يعلمهُ لغيره يرسخ في ذهنهِ . ويصير صغار التلاميذ يحترمون كبارهم وتطمح نفوسهم الى التمثل بهم متى كبروا

هذا واظنكم يا اخواني تعرفون هذه الحقائق كلها وقد تكونون عاملين بها لكن الذكرى تنفع على كل حال . والمعلم الذي يجعل خير امتهِ نصب عينيهِ لا تتعذر عليهِ معرفة الاساليب التي تؤدي الى ذلك . وارجو ان تتغفروا ما في كلامي من الانانية فاني انما ذكرت ما ذكرتهُ من قبيل ضرب المثل .

سعد زغلول

٢

الثورة العرابية — المحاماة — القضاء

وقفنا في مقالنا الاول عند ما كان لتعاليم جمال الدين من الاثر في تكوين سعد ، ولقد روى الرواة أن سعداً قال — اول ما شهد دروس جمال الدين — «هذا بيتي» وان جمال الدين بعد ما عرفهُ وخبرهُ قال : « هذا الشاب طلبتي » . وقيل ان سعداً ذكر امام جمال الدين رأيا للشيخ الانبابي ، فقال لهُ جمال الدين : ومن هو الشيخ الانبابي ! — ستكون عظيماً واعظم منهُ . وكتب سعد يوماً مقالاً عن الحرية أعجب به جمال الدين ، وقال : ان الدليل على انعدام الحرية في هذا البلد ألاَّ يكتب عنها الاَّ هذا الفتى الناشيء

***

وترك سعد منصبهُ بالوقائع المصرية وعُين معاوناً بالداخلية وكان هذا العمل من اثقل الوظائف عليهِ ظلاً . قص علينا رحمهُ الله أخيراً عجيب وصف انهُ طلب من قبل رئيس لهُ بالداخلية بان يستدعي سماحة السيد البكري ، فذهب لاستدعائهِ فلم ينجح ، قال: فعدت فرحاً لان هذا كان خير ضمين لي بألا اكلف بامثال هذا العمل في المستقبل . واتفق أن معاوناً آخر كان معهُ في الداخلية عرض ان يقوم بهذه المأمورية وكان خبيراً بالاساليب والوسائل التي تضمن النجاح فيها وفعلا وفق واستدعاهُ « سيدنا » كما كان لقبهُ في ذلك الوقت

من اجل هذا لم يطل عهده في الداخلية ، وانتقل منها الى وظيفة طربت لها نفسهُ وهي وظيفة قاضي قضايا الجيزة ، وكانت اشبه شيء بوظيفة القاضي ، اذ كان من خصائصهِ ان يصدر الاحكام في كثير من المواد الجزئية

وقد كانت الخبرة التي اكتسبها سعد في تقدم لاحكام المجالس الملغاة هي المدرسة التي هيأتهُ لان يشغل هذه الوظيفة بتمام الجدارة

سعد والثورة العرابية

مهما قيل عن اسباب الثورة العرابية فلا شك ان المظالم التي ترزح تحتها الجيل الذي عاش فيهِ سعد من ضرائب كانت تجبى من غير حساب لتسديد الديون وفوائدها

المتراكمة ومن تحكم الدول في مصر وفي شؤونها ومن تسلطها على الخديو توفيق وتأييدها للحكم المطلق الى غير ذلك من المظالم التي كانت تصوَّر للشعب على يد خير المصورين وابرع الكاتبين وامهر الخطباء والواعظين أمثال جمال الدين والشيخ محمد عبده وعبد الله نديم واديب اسحق والبارودي وغيرهم، فكانت الثورة انتفاضاً على الحكم المطلق والتدخل الاجنبي، ولقد كان سعد ممن تعذبوا بهذه الحركة وغذوها باقلامهم، كما تدل عليه كتابته في جريدة الحكومة الرسمية نذكر منها كلامه عن الاستبداد والشورى: «ان الاستبداد المطلق ممنوع منابذ لحكمة الله في تشريع الشرائع، ومعاند كل المعاندة لصريح الآيات الشريفة والاحاديث الصحيحة، فانه نبذ للدين واحكامه، وسعي خلف الهوى ومذاهبه، وذهاب الى خفض كلمة الله العليا، وخرق لاجماع السلف الصالح، اذ لم يبيحوا في جميع اطوارهم ان يتولى عليهم من يخالف الكتاب والسنة الى احكام شهوته وهواه، يشهد بهذا صنيعهم في بيعة الامراء والعهد الى الولاة، يقولون لمن يبايعونه: بايعناك على ان تكون خليفة رسول الله تتبع سنته وتسلك طريقه، ولم تر طائفة منهم ولا قوماً ولوا عليهم أميراً على كونه يتبع هواه، او يعمل فيهم بما يراه»

وكانت صلة سعد بالعرابيين معروفة، فكان الصديق الحميم للشيخ محمد عبده الذي يقول عنه محامي عرابي انه كان روح الثورة العرابية وملهمها، وعلى مذكراته عن الثورة اعتمد «برودلي» في دفاعه عن العرابيين، وكان سعد من المعجبين بشعر البارودي خصوصاً ما تحاه فيه نحو بشار من التغني بالاباء وعزة النفس

فكانت هذه الكتابات الثورية وتلك الصلات المعروفة كافية لان يحل بسعد غضب ولاة الامور فقبض عليه مع العرابيين، وكان القدر قد كتب له ان يشهد في فجر حياته الامة المصرية تنتفض انتفاضة من في القبور، وتهب وراء عرابي في طلب المجد والحرية ثم تصدمها خيبة الأمل فتركن الى السكينة، ثم يشهدها في شيخوخته وقد استجمعت قوتها وتأهبت للكفاح وانطلقت خلفه كالركان يغلي ويثور

كان سعد في الثورة الاولى شابًّا يافعاً، وفي الثورة الثانية شيخاً محنكاً، وكان في الاولى نزيل السجون، وفي الثانية رهن المنافي، وكان في الاولى بين الامة واحداً من انصار العرابيين، وكان في الثانية على رأس الامة أبا للثورة، والامة كلها من انصاره

كان يمثل في الثورة الاولى مصر الشابة الضعيفة تحمل في قلبها مرارة الالم وتطوى

ضلوعها على الامل المحتبس يطالعها في كل صباح ، تجالد لاستبقاء شخصيتها رغم عوامل الفناء المسلطة عليها

وكان في الثورة الثانية بمثل مصر وقد كونتها الحوادث وعلمتها وألفت عليها الايام والليالي عبراً ودروساً وخرجت من المحن اوفر حكمة وأعز نفساً واوفى كرامة

وبين الثورتين (١٨٨٢ — ١٩١٨) اتصلت حياة كلها عمل وتفكير وجهاد ، حياة متناسقة تسعى الى غاية مرسومة لا تصرف الالتواء ولا التراجع ، وبين التاريخين نور لا يعتريه ظلام انتظمت فيه حياة سعد يسير من مجد الى مجد ، ومن عظمة الى عظمة ، يشار اليه في كل مرحلة بالبنان ، متفوقاً في كل وسط ، ظاهراً في كل جماعة

على ان المجد الذي توج شيخوخته سنة ١٩١٨ والشعار الذي رفعته فوق رأسه ثورة سنة ١٩١٨ لم ينسه مجد سنة ١٨٨٢ . خطب في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ عقب عودته من جبل طارق فقال: « لست خالق هذه النهضة — كما قال بعض خطباؤكم — لا أقول ذلك ولا أدعيه ، بل لا أتصوره ، انما نهضتكم قديمة تبتدىء من عهد مؤسس الاسرة المالكة ، وللحركة العرابية فضل عظيم فيها ، وكذلك للسيد جمال الدين الافغاني واتباعه وتلاميذه أثر كبير ..... كل هذا حق ، ويجب علينا ان لا نكتمه ، لانه لا يكتم الحق الا الضعيف »

بدء اتصال سعد بالمحاماة

كان من نتائج الثورة ان فصل سعد من منصبه ، فلم يرقه أن يطرق باب أحد التماساً للرجوع الى منصبه أو الى منصب غيره ، ورأى اعراضاً ممن كان يتوسم فيهم الخير ونظر فاذا اخوانه وكبار اصدقائه بين منفي وسجين والجميع تحت سخط وغضب ، وماذا يعمل شاب مثله في هذه الاحوال ، قال رحمه الله : « نظرت الى المحاماة فاذا من رزئت به من الذين كانوا عنوان محنتها وذكرها كأنهم الشوك يؤذي الناس ويعذبهم ، وذلك أنهم كانوا يسيئون الى عباد الله بخياناتهم وزيغهم عن طريق الحق والهدى ، ولذلك ترددت بادىء بدء ، ثم قلت في نفسي : ما ضرك لو كنت وردة بين هاتيك الاشواك .... فلما استقر بخاطري أن القيام بواجبي خير للمرء حتى وان كان بحرفة هي باهلها من سقط المتاع ، أقدمت مستحصد العزم على الاشتغال بهذه الحرفة بين اولئك الذين عددتهم شوكاً

« ..... هذا ما كان يحيط به حديث نفسي يوم أردت الاشتغال بحرفة المحاماة

وان في العالم الكوني وجوداً يجب صاحبهُ ان يشعر به ، ذلك هو الوجود الانساني ، فكان يخيل اليّ ان استقامتي في حرفة منيت بالفساد والضلال لا بد ان يعرف قدرها الوجود فاجتنى ثمارها ، فكنت لذلك اتوسم أن تأتي ظروف أحبها وتحبني . . . . اشتغلت بالمحاماة متكرماً على أهلي واصحابي . . . . واتصلت بها والخجل يستر وجهي لسقوط اعتبار من كانوا يتعاطونها . . . . كان اسم المحامي مساوياً لاسم المزور ، وكان لا يستطيع أن ينتسب لاي بيت من البيوت العالية ، وكنت أجتهد ألا يعرفني الا ارباب القضايا ، وان كنت لا أجهل ماذا تكون العاقبة »

أما حال المحاماة وقت اتصال سعد بها ومقامه فيها فقد تعرفناهُ من الرجوع الى الخطب القيمة التي القيت في حفلة التكريم التي اقيمت لسعد في سنة ١٨٩٢ عند ما عين قاضياً بالاستئناف

خطب الهلباوي بك في تلك الحفلة يصف حال المحاماة فقال: «كانت المحاماة ابعد الاشياء عن الشرف والفضل ، فقد تعلمون ان محاكم الاهلية حلت محل المجالس القضاة التي كان امامها محامون يسمون بوكلاء الدعاوي ، صاحب السمعة فيهم من كان أدرى بأغراض القضاة وأعرف بحاجاتهم ، فكان لا شك هذا الفن ضائع الاعتبار

«فلما شكلت المحاكم الاهلية لم يجسر أحد ان يقدم نفسه قرباناً على باب هيكل هذا الفن الشريف غير صاحبنا (سعد) وظل يعالج مرضهُ ويرتق فتوقهُ ، ويجاهد في سبيل اعلاء كلمته حتى اسدل الستار على كثير من فضائحه ومعائبه ، فتشجع اذ ذاك أرباب الشرف واقدموا على الاشتغال به

«لهذا كان اشتغالهُ بالمحاماة بادىء بدء جهاداً مستمراً لولاهُ ما استطاع أحد منا الاشتغال بهذه الحرفة ، فالفضل كل الفضل في تسمو مكانتها لشخص سعد »

اشتغل سعد اذن بالمحاماة في هذا الوقت ، فكان اقدامهُ على الدخول فيها شجاعة واقداماً ، وكان اقتحامهُ لهذه المهنة في تلك الاحوال مؤذناً بما يحمل بين جنبيه من نفس ملئت جرأة واقداماً وشجاعة ، وتجلت في اختياره لها روح المصلح الشجاع وقوة نفسه بنفسه ، فقد أقدم عليها واثقاً من قدرته على تطهير حرمتها ، وانهُ سيكون فيها وردة بين اشواك

القبض على سعد بعد الثورة

في اوائل عهد الاحتلال قبض على سعد للمرة الثانية هو وزميلهُ في المحاماة حسين

افندي صقر ضمن جماعة زعموا انهم الفوا جمعية سرية اسموها (جمعية الانتقام) .على ان التهمة لم تكن لتروع سعداً اذ لم تكن لهُ معرفة بأحد من رجال الجمعية

وشكلت لمحاكمته هو والمرحوم حسين افندى صقر لجنة مختلطة تحت رآسة قاضي بلجيكي اسمهُ فلمكس واعضاؤها (المسيو دوهلتس الذي كان فيما بعد مستشاراً لمحكمة الاستئناف الاهلية في نفس الدائرة التي كان سعد عضواً بها او رئيساً وهو الذي اختارهُ المستشارون سنة ١٩٠٦ ليكون خطيب محكمة الاستئناف في حفلة تكريم سعد عند تعيينه ناظراً للمعارف) وكان من اعضائها ايضاً هيبه واصف باشا والمرحوم حامد محمود بك. ومحمود سالم بك . فظهرت براءتهما للجنة ولكنهما ظلا سجينين بقشلاقات قصر النيل عانية وتسعين يوماً وقد حاول ولاة الامور نفيهما الى السودان ولكن فخري باشا ناظر الحقانية عارض في ذلك واعتبرهُ تحدياً للقضاة الاجانب الذين التجأت اليهم مصر لتعليم محاكمها — وظلا بالسجن حتى رفع امرهما الى المستر مكسويل وكان نائباً عمومياً فأمر باطلاقهما في الحال . وقد قصَّ علينا دولة سعد باشا قبيل وفاته امر هذا السجن فقال: « لبثنا في السجن اشهراً رغم وضوح براءتنا واعلان رأي المحققين .وألح علينا بعض الصحاب ان نبلغ الامر الى الانجليز فرفضنا حتى تقدم الينا محام قديم كان من اصحاب الحيل الدفاعية والاساليب الطريفة في تخليص القضايا .وكان من الحيل التي لجأ اليها ان التمس لنا اصلاً مغربياً وكتب لنا نسبة كنا نحن اول المستغربين لها الضاحكين منها حين اطلعنا عليها بعد الافراج عنا . ومما الجأهُ الى هذه الحيلة ان فرنسا كانت قد استولت على تونس واخذت في الحاق التونسيين المقيمين في مصر برعاياها ... وكان بعض اتباعنا يريد عنايتنا وتنفيق الشهادات لالصاق التهمة بنا . ثم ارادوا ان ينفونا الى السودان . . . . . ولم تكن النسبة المغربية سبب نجاتنا كما اراد بحامينا جزاهُ الله ولكنها بقيت فكاهة نتذاكرها ويتحدث بها اصدقاؤنا »

المحامي السجين

قال رحمهُ الله في خطبة لهُ : « وقدر لي اني حبست في اول اشتغالي بهذه الحرفة ظلماً وعدواناً فنفعني شروعي فيها وقد كنت ادافع عن الخصوم بالكتابة رداً على التقارير التي كانت تقدم اليَّ للاجابة على ما فيها من المسائل فانظروا يا اخواني في امر محام كان يناضل عن الحق وهو منهُ سليب »

سعد يعود للمحاماة

« وبعد ان انقضت مدة سجني عدت الى مزاولة هذه الصناعة لا ابغي بها غير الحقائق مطلباً ..... ودخلت في هذه الصناعة وتحملت ما تحملت ولم يكن هناك نقابة تدافع عن حقوقها بل كانت المحاماة تحت الاحكام العرفية وكان يكفي ان رئيس المحكمة يغضب على وكيل فيحزمه صناعته ...واذكر يوماً كنت ارافع فيه امام محكمة منها فطلب وكيل النيابة تأجيل القضية لاستيفاء بعض الاجراءات فقلت «لا يجب تأخير الدعوى لانهُ لا يصحُّ اطالة سجن المتهمين» فقال لي رئيس المحكمة: اسحب كلامك فان المحكمة لا يجب عليها شيء ،فدفعتني شدة جرأتي على ان اقول لهُ باني لا اسحب فكرة اعتقدها حقاً فتداول مع زملائك وقرروا رفض طلبي او عدم رفضه . قلت هذا وانا متخوف ان يجر اليَّ حرماني من صناعة المحاماة ولكن قدر القدر ان يكون بين القضاة قاض كان صديقاً لنا اخيراً وهو المرحوم علي بك فخري فعفوا عني » . اما مقام سعد في المحاماة ومكانهُ بين المحامين ، فقد اعتمدنا في تصويرهما على ما قيل في الحفلة الكبرى التي أُقيمت لهُ في ١٨ يوليه سنة ١٨٩٢ عند ما اختير للقضاء في محكمة الاستئناف واقام لهُ المحامون حفلة في فندق الازبكية حضرها مائة محام وجميع قضاة الاستئناف وخطب فيها ثلاثة عشر محامياً وتكلموا في خطبهم صورة للمحامي النابه الذكر الدائم الصيت الابي النفس . خطب في تلك الحفلة اخوانهُ الذين ساجلهم وساجلوهُ . وناضلهم وناضلوهُ . وعرفوهُ في ساحة القضاء خصماً عنيداً قوياً . صلب القناة ايَّا لا يغمز جانبهُ وعرفوا فيهِ لساناً قوالاً ينفث السحر . وعارضة قوية . وصفاء في القول والخطاب لا يعادلهُ الاَّ صفاء قلبهِ . وسلاسة في التعبير وسهولة في البيان . وقوة في الاقناع والافهام . وقوة جدل تعرف كيف تهزم الباطل وتجعلهُ هباء وتعز الحق وترفع لهُ لواء . وكيف تخلص الحقائق من بين غياهب الضلال والشبهات. ولسان لا يعرف الفاحش من القول ولا اللغو من الكلام . قال رحمهُ الله في خطبة لهُ : «وكان المحامون مشهورين بمهارتهم في ان يشتم بعضهم بعضاً وقد اصابني في اول مرافعة امام محكمة الاستئناف ان زميلي كان رجلاً قديماً وكنت صغير السن اذ كان عمري ٢٢ سنة وكان مستأنفاً فأخذ يطعن عليَّ بدون ان يعرفني او اعرفهُ ونسب اليَّ اني كنت محامياً قديماً وما كنت كذلك .. وبعد ذلك الهمت القول بان كلام زميلي ينحصر بمدحذف المطاعن فيكذا .. وما جاريتهُ في شتائمهِ وجريت على هذا الاسلوب

وجرى آخرون . . . قناعةً وتعفف وتحصن ضد ضعف النفس واغرائها وميل الى اصلاح ذات البين وفض الخصام . قال في خطاب لهُ في سنة ١٩٢٤ : «اذكر اني عند ما كنت محامياً .. ويأتي موكلي مريداً للصلح لخشية خصمه من توكيلي عنهُ ارحب به واسهل الامر عليه بان أرد اليه مقدم الاتعاب التي قبضتها منهُ . اني ما كنت اقيد مقدم الاتعاب في باب الايرادات بل في باب الامانات لأني نفسي ضعف نفسي حتى اذا اراد الموكل الصلح ارد لهُ مقدم الاتعاب واقول لهُ هذه امانتك رددت اليك »

كان يحترم نفسه ويلزم الجميع باحترامه ، قال في خطبة لهُ : «كنت احب ابداً ان يحترمني القاضي فأحذر كل ما يؤدي الى غير ذلك . ولعل سعادة الرئيس (اشارة الى بليغ باشا) يذكر انهُ لما كان بين اعضاء لجنة الامتحان التي طلبتني امامها وسألتني عامي واجبات المحامي . كان جوابي : درس القضية جيداً والمدافعة عن الحق واحترام القضاء .... ويعلم الله كم من ليال مضت ما كان امرّها عندي لا لاني كنت في عيش ضنك . ولا لاني قليل اليسر ولكن لان الحقيقة ضائعة لا اجدها في طريق نشداني لها بين اناس عهدت انهم امانة ولا من يؤديها منهم لاهلها . وكنت أرى القانون يكرهني على احترام القضاة وضميري يأبى الامتثال لاحترام كثير منهم . فكنت أجمع بين الاحترام والتحقير ولا استطيع التوفيق بين الظاهر والباطن . كنت اسأل من القضاء حقاً ومن النيابة واجباً فلا أجد هذا ولا ذاك »

قال في وصفه نقولا توما : «كل من خاصمك من اقرانك كان لا يلبث ان يعترف بأنك صاحب الفضيلة الواجب ان يحترم . واني كنت اول محترم لك ومعترف بأنك الممتاز بالفضيلة . ولا أجد احداً من صافاك أو جافاك الاَّ اقتنع بانك أولى الاخوان بالاحترام فتشرب على سر اختصاصك بالفضيلة »

وقال عنهُ احمد حشمت بك الافوكاتو العمومي عند ما خطب في تلك الحفلة : « ان النيابة والمحاماة خصمان مختلفان وان كان كل منهما يناضل للحق والانصاف . وقد كان سعد بين اولئك الخصماء أقرانهم حجة ودفاعاً عن الحق فحق للنيابة ان ترحب به فيصلا يقضي بالحق كما عهدتهُ في خصومته نصيراً لهُ »

وقال حسن الشمسي : « بلغت مقام القضاء لا على رواحل الصدف ولا محركاً بعوامل الاغراض الذاتية بل بما عرفناهُ فيك من ظهارة الذمة والصدق وقوة الحجة في البيان والبرهان . وقد امتزت بالسبق في كل هذه الصفات فلم يدرك شأوك فيها أحد . نشهد

انك كنت المرجع الاعلى لكل من اشكل عليه امر أو اغمض عليه حق . وكنت تشعر من نفسك بمنزلتك العالية في قلوبنا فاذا تكلمت أو تحركت رمقت العين بالاجلال والاحترام والاعتبار . وقلنا قال الفاضل وجاء الفاضل . أفقدتنا تنطق بذلك وان كانت ألسنتنا سكوت »

وقال ابراهيم بك الهلباوي : « اصبح الفلاح في زوايا القرى يعتمد على اسمه في مقاضاة خصمه انكان محقاً وتخور قواهُ وتحلُّ عزيمته عند ذكر اسمه انكان مبطلاً : كانت اعمالهُ استاذاً لكل من اشتغل بحرفة المحاماة بل لكثير من القضاة . وهذه تقاريره الشرعية والعقلية محفوظة لدينا يرجع اليها كل من أبهم عليه أمر قانوني . لقد أتم دروسهُ علينا سواء من حيث الصدق والاستقامة وطهارة الذمة أو من حيث اللباقة والفصاحة او من حيث النقط القانونية الدقيقة »

وتكلم مثل ذلك جبران خليل واحمد الخشيني وحسن الشيمي وغيرهم

هكذا كان سعد في المحاماة مثلاً عالياً من غير مثال يحتذيه لشرف المحامي وكرامة المحاماة . وضع اساسها . ووطد دعائمها . وطهر ذكرها . ورفع شأنها . ونظم تقاليدها . ودهبها من سحر نمانه البيان المتدفق . والفصاحة المتدفقة . وكم من مظلوم تراءى لهُ الموت شبحاً في ظلام سجنه انتذهُ سعد بسحره . وكم من محكوم عليه لجأ الى سعد في آخر الامر فانقذهُ من مخلب الموت

ولقد كان من الطبيعي ان يصبح سعد محامياً . فاي مجال يتسع لهذا القلم الخصيب الطيّع . وذلك اللسان الصوال الفوال غير مجالها . واية ساحة يرن فيها هذا الصوت العالي وتبدو فيها تلك العارضة القوية غير ساحتها . ما خلق سعد ليجري قلمهُ في اوراق المكاتب والدواوين . وما كان لبيان سعد ان يحبس في ديوان . أو يوقف على احدى المصالح بين ارمة جدران . بل لقد احس سعد يوم عزلوهُ من منصبه بأنهُ وإن عطل منهُ فليس بمُعطل من المواهب . واحس بان في داخلية نفسه دافعاً يدفعهُ الى الاتصال بالجماهير عن طريق منبر المحاماة ، خطب مرة فقال : « ما سبقت الى اتخاذ فن المحاماة شعاراً الاَّ لانها الحرفة التي تستلزم بسط اراء المشتغل بها على حضرات القضاة والاقران وجماهير العامة فهي الحرفة التي تظهر فيها قيمة المرء في وسطه » أليست المحاماة خطوة الزعماء الاولى في الزعامة : لقد كان غمبتا محامياً . وكان جول فافر محامياً

محمد صبري ابو علم

صورة تمثال شكسبير في كنيسة الثالوث بلدة
ستراتفورد مسقط رأسه

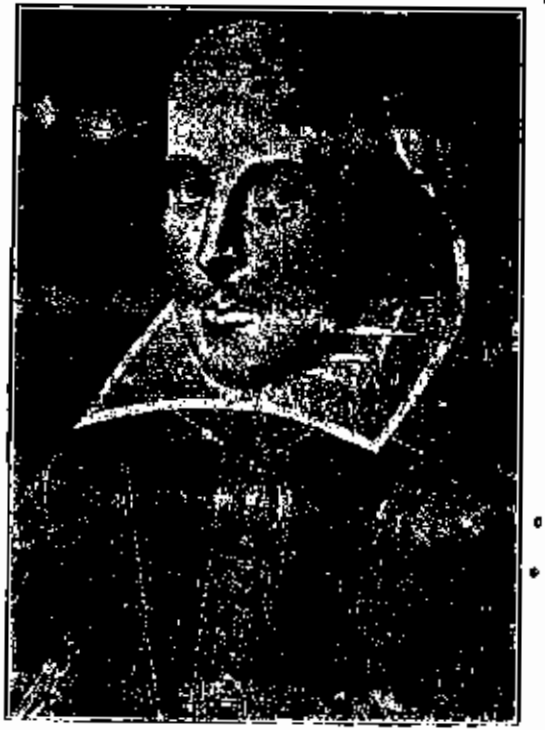

شكسبير عن النسخة المطبوعة سنة ١٦٢٣
مقتطف دسمبر ١٩٢٧
امام الصفحة ٣٨٥

شكسبير

دلائل شهرته — ولمحة من نشأته

[قدّم القاهرة في اوائل نوفمبر الماضي جوق من اشهر اجواق التمثيل الانكليزية لتمثيل روايات شكسبير في دار الاوبرا . فرأينا ان ننشر المقال التالي فيها اتماماً للفائدة]

١

اتفق الذين كتبوا عن شكسبير على انهُ من المشهورين لكنهم اختلفوا في تحديد شهرته فقال الذي كتب ترجمتهُ في انكلوبيديا ريس الانكليزية المطبوعة منذ مائة سنة إنهُ « شاعر انكليزي من مؤلفي الروايات التمثيلية وهو اشهر من ألف من القدماء والمحدثين » . وقال الاستاذ سبنسر بينس في الطبعة التاسعة من الانكلوبيديا البريطانية إنهُ « شاعر انكلترا واعظم شعراء الروايات التمثيلية الذين نشأوا في اوربا في العصور الحديثة » . وقال العالم ادمند كرشقر تشمبرس في الطبعة الحادية عشرة من الانكلوبيديا البريطانية التي طبعت سنة ١٩١٣ إنهُ « شاعر انكليزي وممثل ومؤلف روايات تمثيلية »

وقال الاستاذ دودن في طبعة حديثة من سكلوبيديا تشمبرس إنهُ « اكبر شاعر من شعراء الروايات التمثيلية » وقال الدكتور بنيامين سمث محرر سكلوبيديا السنشري إنهُ « شاعر انكليزي مشهور وهو اشهر واضعي الروايات التمثيلية » . وقال بوليو في قاموس الاعلام الفرنسوي « إنهُ اول شاعر انكليزي صنف الروايات التمثيلية » وقال لاروس في الانكلوبيديا الفرنسوية « إنهُ شاعر من شعراء الروايات التمثيلية »

واثبت الاستاذ كاتل الاميركي بالاستقراء ان شكسبير اشهر رجل عند الاوربيين والاميركيين بعد نبوليون بونابرت . وذلك انهُ اخذ ستة من اشهر الانكلوبيديات الانكليزية والفرنسوية والالمانية والاميركية واوسعها وفتش في كل منها عن الالف الذين شغلت ترجماتهم أوسع مكان فيه بالمقابلة مع غيرهم فاجتمع لديه ستة آلاف اسم فانتقى منهم الالف الذين ذكروا في هذه الانكلوبيديات الستة كلها وكانت ترجماتهم فيها اوسع من ترجمات غيرهم وقسمهم الى عشر طبقات حسب طول ترجماتهم ورتب اسماء كل طبقة حسب طول الترجمات فوجد رجالات الطبقة الاولى حسب الترتيب التالي:

نبوليون بونابرت . شكسبير . فولتر . باكون . ارسطوطاليس . غيتي . يوليوس

قيصر. لوثيروس . افلاطون . نبوليون الثالث . بتركل . هوميروس . اسحق نيوتن. شيشرون . ملتون . الاسكندر المكدوني . بتّ . وشنطون . اغسطس قيصر . ولنجتون. وفائيل . ده كارت . كولمبوس . كنفوشيوس . ولترسكوت . ميخائيل انجلو . سقراط الخ

واغفل الدكتور كاتل ذكر الانبياء والرسل حتى لا يعترض عليه رجال الدين بأن شهرتهم ليست من قبيل شهرة البشر وعنده ان ما تقدم دليل استقرائي على ان الاوربيين والاميركيين يحسبون شكسبير اشهر الرجال كلهم ما عدا نبوليون واشهر الشعراء فلا يقاس احد به من المتقدمين ولا من المتأخرين

واذا التفتنا الى ما كتب عن شكسبير ونبوليون في غير الانسكلوبيذيات ايضاً وجدنا شهرة شكسبير تفوق شهرة نبوليون كثيراً بل قد يكون سقراط وارسطو وافلاطون اشهر من نبوليون ايضاً من هذا القبيل

واشعار شكسبير ورواياته التمثيلية تملأ مجلداً كبيراً ولو ترجمت الى العربية وطبعت بقطع المقتطف وحرفه لملأت ثلاثة آلاف صفحة ومع هذا قد طبعت بالانكليزية مراراً لا تحصى وعلى اشكال مختلفة عددت منها الانسكلوبيذيا البريطانية الاخيرة ٧١ شكلاً طبعت في انكلترا وكل شكل منها طبع مراراً . ولا نظن ان احداً قرأ اللغة الانكليزية من ابنائها او من غير ابنائها الا قرأ روايات شكسبير كلها او بعضها واقتنى نسخة او اكثر منها . فني مكتبتنا اربع نسخ مختلفة بعضها قديم وبعضها حديث عدا الاجزاء التي لروايات مخصوصة او لاقوال مخصوصة مما يستشهد به من اقواله . فكم منها عند المائة والستين مليوناً من ابناء اللغة الانكليزية في اوربا واميركا واستراليا والهند وعند غيرهم من قرّاء هذه اللغة . وكم من الملايين طُبع من هذه النسخ منذ اكثر من ثلثمائة سنة الى الآن . فاذا فرضنا ان بيوت ابناء اللغة الانكليزية في اوربا واميركا واستراليا ثلاثون مليون بيت (لانهم نحو مائة وستين مليون نفس) وفي كل بيت منها نسخة واحدة ففيها الآن ثلاثون مليون نسخة كاملة عدا المختارات الكثيرة الانواع

وقد تُرجم شكسبير مراراً تراجم مختلفة الى الالمانية والفرنسوية والايطالية والاسبانية والهولندية والدنماركية والاسوجية والبوهيمية والمجرية والبولونية والروسية وترجمت بعض رواياته الى العربية باقلام كتاب مختلفين

وفي رواياته اكثر من ٢٥٠٠ كلمة من الكلمات التي لم تعد مألوفة ولذلك عني الانكليز بتفسيرها ووضع الحواشي الكثيرة عليها . وعني المصورون والحفارون في كل اللغات

بتصوير المناظر التي ذكرت فيها وحفرها وطبعها على اساليب مختلفة . وقد عددت الانسكلوبيديا البريطانية في طبعتها الاخيرة الكتب التي الفت على شكسبير في الانكليزية وغيرها من اللغات التي ترجم اليها شروحاً كانت او انتقادات او معجمات او ترجمات او تواريخ او ما اشبه فبلغت اسماؤها ما لو ترجم الى العربية لملأ اكثر من عشرين صفحة من صفحات المقتطف

وقد مرَّ على هذه الروايات الآن اكثر من ثلثمائة سنة وهي تمثل في اوربا واميركا وفي كل البلدان التي ترجمت الى لغاتها حتى في هذه العاصمة والناس لا يملونها . وعني اشهر الممثلين والممثلات بتمثيلها او نالوا شهرتهم بها . ولم يشتهر خطيب ولا منشئ في الانكليزية الا وقد رصّع اقواله بعبارات من امثال شكسبير وجوامع كلمه

والخلاصة انا اذا استثنينا مشترعي الاديان بالكثرة الانتشار والاتباع فشكسبير اشهر رجل قام في كل العصور

وهذه الشهرة لم يحلم بها شكسبير ولا توخّاها ولا كان له في عصره شيء يذكره بها بل لو بنينا حكمنا على ما ناله منها وهو حي ثم وهو ميت الى ان مضى على وفاته مائة عام لرأينا انهُ عاش ومات مثل اواسط الكتاب فلم يبلغ مبلغ كبار العلماء والشعراء وقواد الجيش وامراء البحر مثل نيوتن ونلسن ووللتن ونلدن بل كان كما قال فيه احد واصفيه كالحجارة التي تفرز المادة اللؤلؤية حول ذرة في جسمها فيكون منها جوهرة غالية الثمن ترصّع بها تيجان الملوك وهي لا تدري انها فعلت شيئاً

يدلُّك على انهُ لم يكن يعلم قيمة رواياته انهُ لم يهتم بطبعها ونشرها والذين طبعوها ونشروها في حياته لم يستأذنوهُ في ذلك ولا استشاروهُ ولا اعطوهُ شيئاً من ربحها ولعلهم غيَّروا وبدلوا فيها ما شاءوا وهو لاعن عنهم مكتفٍ بالمال القليل الذي كسبهُ من تمثيلها . ولم يخلف اولاداً يغارون على اسمه ويستفيدون من شهرته فيستخدمون وسائل الشهرة العادية كحفلات التأبين واستنشاد الشعراء والنشر في الجرائد فانهُ رزق ابناً وحيداً وابنتين فابنهُ توفي قبلهُ بعشرين سنة وابنتاهُ تزوجتا ولكن مات اولادهما في حياتهما وانقطع نسلهما

ولم يكن من بيت غنيّ ومجد فان اباهُ كان جزّاراً او بائع جلود وكان في اول امره على شيء من السعة ثم افتقر الى درجة الاملاق . وهو نفسهُ تزوج بفتاة اكبر منهُ سنّاً لانها كانت على شيء من الثروة ثم هرب من وجه القضاء ولجأ الى التمثيل للتعيُّش

ولم يكن في اول الامر ممثلاً بل كان خادماً في دار التمثيل يمسك خيول الذين يأتون راكبين ولا خدم معهم يمسك خيولهم . ثم لما انتظم بين الممثلين وظهرت براعتهُ في التمثيل وفي تأليف الروايات التمثيلية اكرمهُ اهل وطنهِ كما يكرمون كل ممثل بارع ومنشىء بليغ ولكنهم لم يغالوا في اكرامهِ. ولما توفي رثاه بعض اصدقائهِ ولم يبالغوا في مدحهِ بل وصفوهُ بالادب والظرف . ويستدلُّ من ذلك كلهِ ان الشهرة التي لهُ الآن مكتسبة ، نشأت بعد موتهِ وتزايدت على مرور الزمن. فكيف ذلك ؟

٢

التمثيل فن جميل وتجارة رابحة ومجالهُ واسع جدًّا عند الاوربيين والاميركيين لان النساء يشاركن الرجالَ فيهِ ولا تأنف اجل النساء والبنات واطربهنَّ صوتاً ان تكون في عداد الممثلات . ولا يخفى ان المناظر الجميلة والاصوات المطربة تستهوي القلوب واذا اقترنت بروايات تاريخية او فكاهية كثيرة الحوادث غريبة النوادر مدهشة الوقائع مشتملة على تاريخ الامة صار لها اعظم وقع في النفوس . واذا كانت كثيرة الاشعار والاغاني وتكررت مرةً بعد اخرى استظهر السامعون كثيراً منها فالفتها آذانهم وادمنتهم فصاروا يرتاحون اليها ولا يصبرون على الانقطاع عنها . واذا كانت كثيرة النكات الادبية والفكاهية مملحة بالمواعظ والحكم وجوامع الكلم طرب لها كل احد حتى العلماء وخدمة الدين . واذا تناولت كل اعمال الناس ومعايشهم رجالاً ونساء حتى يرى فيها كل احد شيئاً ممَّا يلمُّهُ او يسرُّ بهِ تناول الاقبال عليها كل الطبقات

ولكن ذلك كلهُ لا يكفي ليصيِّر لها الشأن الذي صار لروايات شكسبير بل لا بدَّ من اناس يحملون الجمهور على الرغبة في مشاهدة الروايات بكل طرق الترغيب. واتفق ان رأى البعض في صناعة التمثيل مجالاً واسعاً للكسب لانها تحتمل الرواج الى ما لا حدَّ لهُ فاستخدموا لها امهر الرجال في الالقاء والتمثيل واجل النساء واطربهنَّ صوتاً وارشقهنَّ حركةً ودفعوا لهم ولهنَّ الاجور الطائلة وجهزوا مشاهد التمثيل بما يتلون بهِ ازياء الناس في كل العصور وانواع اسلحتهم واشكال منازلهم وطرق معيشتهم واختاروا امهر الكتَّاب لوصف التمثيل وانتقاد الممثلين والممثلات وصوروهم صوراً ترتاح لها النفوس وذكروهم وذكروهن بما لا مزيد عليهِ من المدح والتبجيل فصار المرء في اوربا واميركا يهيء ما يدفعهُ لمشاهدة التمثيل كما يهيء ما يدفعهُ لشتري طعامهِ ولباسهِ ويهتم بهِ اكثر مما يهتم بالمال الذي ينفقهُ على تعليم اولادهِ . والكل في ذلك سواء غنيهم

وفقيرهم . ورأى هؤلاء المتاجرون بالتمثيل المكتسبون منهُ ان روايات شكسبير مُلْك مشاع لا صاحب لهُ ولا يطالبهم احد بحق كما يطالبهم المنشئون فاكثروا من تمثيلها وترغيب الناس فيها فزاد اقبالهم عليها اقبالاً وصقلتها الالسنة على مرور الزمن واشربت الافئدة معانيها ومبانيها . وقد اجمع كبار المنتقدين من الانكليز انها جديرة بذلك بل هي احرى به من غيرها . وقد اجمع النقاد على ان شكسبير كان من اعلم الناس بطبائع الناس حتى ان الذين طبعوا رواياته في حياته على غير علم منهُ جعلوا الوصف المرغب في مشتراها انها تشرح طبائع الناس على اختلاف درجاتهم وعناصرهم . ولما رثاهُ صديقهُ الحبر بن جنصن جعل بيت القصيد في رثائهِ ما ترجمتهُ

ان الطبيعة فاخرت فيهِ الملا وتسربلت ما حاكهُ في وصفها

ونظر اليهِ شعراء الانكليز كلهم من عهدهِ الى الآن نظر التلميذ الى استاذهِ حتى قال الشاعر دريدن اني بالرهبة والوقار اطلب بركتهُ وانا اكتب

فالشهرة التي حازها حازها بما في رواياتهِ واشعارهِ من البلاغة والتبريز عن عواطف الناس وامالهم في كل اطوارهم ودرجاتهم وبما بذلهُ اصحاب مشاهد التمثيل من العناية لترغيب الناس فيها ولولا ذلك لاهملت كما اهمل غيرها .

***

الشهرة أثمن المقتنيات فلا تنال عفواً ولا يشتهر احد في مطلب من المطالب الا وفي طبعهِ واحوالهِ ووسائلهِ ما ينيلهُ هذه الشهرة . والشعراء ارباب الخيال الذين يجردون الصور البديعة من الطبيعة والحكم البالغة من التاريخ والمعاني الرشيقة من القرائح يجب ان يكونوا في بلاد كثرت نجادها ووهادها وانهارها وغدرانها وسهولها ووعورها ورياضها وغياضها كالشام وسويسرا وفرنسا وانكلترا وبعض جهات اليمن ونجد وان يقفوا على التواريخ القديمة والحديثة واخبار الامم ومواقع الحروب وسياسات الدول واساليب الاحكام . ويتضلعوا مما انشأهُ ارباب الكلام وناظمو جواهر المعاني من نحو اليونانيين والمصريين والاشوريين والبونانيين والرومانيين والفرس والعرب والهنود وغيرهم من امم المشرق والمغرب . فاذا اجتمعت للشاعر هذه الوسائل وكانت بالفطرة الموروثة ميّالاً الى ابتكار المعاني ونظم القريض سهل عليهِ التبريز على الاقران والاستيلاء على العقول . وكان شكسبير من هذا القبيل كما سنبينهُ في هذه المجانة معتمدين على ما جاء في ترجمتهِ في الطبعة التاسعة من الانكلوبيديا البريطانية بقلم

الدكتور بنس استاذ المنطق والبيان في جامعة سنت اندرو وعلى بعض ما جاء في الطبعة الحادية عشرة بقلم العالم هيوكر يشلم :

٣

ولد شكسبير بمدينة ستراتفورد في اواخر شهر ابريل سنة ١٥٦٤ وهي مدينة قديمة على نهر اڤون عُرفت هي وما يحيط بها من قبل عهد الرومان الذين اجتاحوا البلاد الانكليزية واضافوها الى ممالكهم وانشأوا فيها القصور والمعاقل. واشتهرت في الحروب الاهلية التي توالت بعد ذلك وتقام فيها سوق للمواشي من اشهر الاسواق في تلك البلاد

ولا يعرف جمال البلاد الانكليزية الا من زارها وتنقل في ربوعها فصعّد في جبالها وصوّب في وهادها وأوغل في حراجها وادغالها وراقب تحدّر تلالها واجال طرفهُ فيما حولهُ من البلاد فرأى مشارفها بين كاسٍ تجللهُ الحراج والادغال وعارٍ علاهُ الثلج والغمام وقد قامت بينها القصور والابراج معاقل امرائها الاقدمين واغنيائها المحدثين وكل شرفة من شرفاتها تتحدث بتاريخ فارس مغوار او غادة حسناء واخبار تداولها الخلف عن السلف وبنوا عليها اشعارهم واغانيهم . هذه حال البلاد التي لم يفتح شكسبير طرفهُ الا وقع عليها فاعادت اليهِ ذكرى سكانها السالفين . واهالي البلدان الجبلية يكثر تحدثهم باخبار اسلافهم فلا بدَّ من ان يكون شكسبير قد سمع الكثير منها ووعاهُ في ذاكرتهِ واستعادهُ حينما ألَّف رواياتهِ بعد ان وقف على التواريخ المكتوبة واستخرج منها ما نظم منهُ تلك القلائد

وكان من بيت له شأن في ستراتفرد فان جدَّه رتشرد كان يسكن بيتاً كبيراً على نحو ثلاثة اميال او اربعة من تلك المدينة ولهُ مزرعة واسعة هناك وكان لهُ ولدان جون وهنري فانتقل جون الى ستراتفورد واقام فيها تاجراً وهو ابو صاحب الترجمة وكان يبيع الجلود وما يصنع منها واشتغل ايضاً ببيع الصوف والخشب والحبوب ويقال انهُ كان لحَّاماً ايضاً ولا غرابة في ذلك لان ستراتفورد مركز بلاد زراعية وهي سوق لها ومن كان عملهُ الزراعة وانتقل اليها يغلب أن يتاجر بالسلع الزراعية . والظاهر انهُ كان عالي الهمة ذكيَّ الفؤاد مقداماً فلم يمضِ عليهِ خمس سنوات حتى جُعل من اعيان المدينة وتدرَّج الى ان صار عمدة لها ورئيساً لمجلسها البلدي ومحكمتها المحلية وكان ذلك سنة ١٥٦٨ . وتدلُّ الدلائل على انهُ كان قد صار من ذوي السعة فانهُ اشترى بيتين

في المدينة سنة ١٥٥٦ واقترن في السنة التالية بسيدة من بيت وجيه اسمها ماري اردن ورثت من ابيها جانباً من المال ومزرعة فيها نحو ستين فداناً وبيتين او ثلاثة فاتسعت ثروته بذلك ثم اشترى بيتين آخرين ويقال ان ابنه صاحب الترجمة ولد في احدهما. ثم قلب له الدهر ظهر المجن فخسر اكثر ثروته لأنه كان كريماً متلافاً قليل التدبير سريع التأثر لا يعنى بالطفائف ولا يدقق في اعماله وكان فوق ذلك محبًّا للجاه والتأنق فلما كان عمدة المدينة اتى بجماعات من الممثلين وجعلهم يمثلون في دار المجلس البلدي احتفالاً بارتقائه الى هذا المنصب ففرس في نفس ابنه محبة التمثيل لأن ما يشاهده الفتى في حداثته يؤثر فيه تأثيراً شديداً وقد يغير مجرى حياته . وطلب من نقيب الاشراف حينئذٍ أن يحبه يتهم ويعطيه سمة الشرف، اي ان نفسه كانت جامحة الى المعالي وحب الشهرة مع انه كان لا يزال تاجراً من عامة التجار في بلد صغير. فهذه الاخلاق كلها آلت الى فقدانه ما جمع من الثروة فرهن املاكه واستغرق في الدين واضطرت زوجته ان تبيع املاكها لايفاء جانب من دينه وظل في حالة ضيق شديد الى ان افتح ابنه وساعده على ايفاء ديونه واسترداد بعض الاملاك التي باعها . ولكن فقره لم يحط منزلته في عيون قومه لاسيما وانه بقي ينفق كاغنيائهم

اما زوجته ماري اردن فكانت من عائلة قديمة وجيهة كما تقدم ومن اسلافها رجل اسمه الدن صاهر بيت الملك المعروف ببيت اثلستين ولذلك قدمها مزوج بدم اشراف النورمنديين. وقام من اسلافها رجال اشتهروا بمناصرة الملوك في حروبهم . ووجهاء الانكليز يمتازون عن عامة الشعب بآدابهم واخلاقهم امتيازاً كبيراً رجالاً ونساء وقد كانت ام شكسبير من الطبقة العليا ولا بدَّ انها اثرت فيه تأثيراً كبيراً بآدابها واخلاقها وبما يعرف من تاريخ اهلها ووجاهتهم لاسيما وانه بكرها والامهات الانكليزيات يعنين خاصة بتربية البكر من اولادهن . فما كان والداه في سعة تعلم وتهذب ورأى من بشاشة امه وطلاقة وجهها ما ساعده على وصف النساء وهن في اوج مجدهن ولما ضاقت الاحوال وجاءت ايام البؤس رأى من صبرها وطول اناتها ما ساعده على وصف النساء وهن في حالة البؤس والشدة . فاليسر والعسر اللذان اصابا والديه اثرا في نفسه تأثيراً شديداً كما اثرت اخلاقهما فيه . ثم إن ما حلَّ بهما من الضيق حمله على بذل اقصى جهده لكي يكتسب مالاً يساعدهما به ويردهما الى الحالة التي كانا فيها فضل عن طيب نفس وزاد بذلك ليناً ودعة

متى يجوع العالم؟

اذاع القس مالتوس الانكليزي منذ مائة وتسع وعشرين سنة مذهبهُ المشهور وهو ان سكان الارض سيزدادون في المستقبل زيادة كبيرة حتى لا يكفيهم الاكل على الارض فتعمُّ المجاعة الناس وتشتد المسكنة في كل اقطار المسكونة

فلو صحت نظرية العالم المذكور لكنا الآن في عداد الاموات لان انكلترا نفسها حسب زعمهِ كان يجب ان تحلَّ بها المجاعة سنة ١٨٤٥ وتسبقها سائر بلدان الارض او تتبعها

على ان الذاهبين هذا المذهب يقولون «انهُ وان لم تعمّ المجاعة الارض بعدُ فخطرها لا يزال قائماً انما ارجيء زمن وقوعها» ويصرحون ايضاً بانهُ اذا فرض ان الاكل وجد بوفرة فلا بُدَّ ان يأتي زمن يزدحم فيهِ السكان ازدحاماً شديداً حتى لا يجدوا لهم متسعاً على سطح الارض فيدوس بعضهم بعضاً، ويبنون قولهم هذا على ازدياد سكان الارض ازدياداً متواصلاً في الماضي وهم يقدرون عددهم الآن بالف وثمانمائة مليون نسمة فاذا اطردت هذه الزيادة في المستقبل وعشت على ما عشت عليهِ في الماضي فالازدحام واقعٌ لا محالة

واسهل طريقة لفهم هذا المذهب هو النظر في الزمان الذي يلزم فئة من الناس حتى يتضاعف عددها. فمثلاً زاد سكانها منذ ١٧٤٩ الى الوقت الحاضر ثلاثة اضعاف مع نزوح قسم كبير من اهالها عنها وقد تضاعف عدد سكان الولايات المتحدة مراراً ولكن بعض ذلك الازدياد يعزى الى مهاجرة الناس اليها من الخارج. والبلاد الفريدة التي لم يتضاعف عدد سكانها في القرن الاخير هي فرنسا، على انهُ يمكننا ان نقول: ان عدد سكان الارض تضاعف على الاقل مرتين في المائة السنة الاخيرة

ونحن اذا اهملنا مسألة النزوح من بلاد والمهاجرة الى غيرها ناظرين فقط الى زيادة المواليد على الوفيات في امة من الامم رأينا زيادة السكان قليلة، وبكلمة ثانية نقول: ان عدد سكان الارض يتضاعف مرة في المائة سنة على اكبر تعديل

والذي اضعف نظرية مالتوس الآن هو انهُ لما اذاعها كان يُظَنُّ ان بقاعاً واسعة في اوربا واسيا واميركا واوستراليا لا تقل شيئاً فشيئاً فروج البحر وروسيا وسهولها كان

يُظَن في عهد مالثوس انها لا تصلح الاّ لاقامة المواشي وكما قال الاستاذ بروز في جامعة شيكاغو كان يُظن سنة اذاع مالثوس مذهبهُ ان مروج الولايات المتحدة وكندا وسهولها لا تصلح الاّ لرعي الماشية اما الآن فقد أصبحت المراكز الرئيسية لانتاج الحنطة . وهكذا قل عن سهول افريقيا وسيبيريا

فهذه الزيادة في الحنطة لم يحلم بها مالثوس في ذلك العهد وهي ولا شكّ تُبعد الى حدّ ما زمن حلول المجاعة العامة . يضاف الى الزيادة في الحنطة الترقي الكبير الذي طرأ على معدات الزراعة ووسائل النقل فهذه الزيادة تمكّن من ارجاء زمن المجاعة الى سنة ١٩٣٥. واذا اقتصدنا في مقدار ما تناولهُ من الطعام وضربنا على نهمنا وتبذيرنا واتبعنا ما يوصي به الاطباء من ان الناس يتضررون من وفرة الاكل اكثر مما يتضررون من قلته ابعدنا زمن حلول المجاعة الى سنة ١٩٥٥

واذا توقفنا عن اقامة كثير من الحيوانات التي لا تفي منها ارجأنا زمن المجاعة سنة او سنتين اي الى سنة ١٩٥٦

ويقول الثقات : انهُ باستطاعتنا زيادة الانتاج في الاراضي المهملة من ٢٥ بالمائة الى ٥٠ بالمائة فنبعد زمن المجاعة بذلك نحو ثلاثين سنة اي الى سنة ١٩٨٩ . كذلك نستطيع زيادة مساحة الاراضي المزروعة بواسطة اعمال الريّ والفرح نحواً من خمس وعشرين بالمائة فنبعد زمنها الى سنة ٢٠٠٩

ولنحول نظرنا الآن الى فريق النباتيين (الذين يعيشون على انواد النباتية) فهؤلاء يقولون : «ان اكل اللحوم عادة فيها كثير من الاسراف والضرر. ذلك اننا نطعم الحبوب للحيوانات طمعاً بلحمها ولبنها فكاننا نتلف من اربعة اخماس الى تسعة اعشار الحبوب التي تنتجها الاراضي المزروعة . ثم متى اكلنا لحم هذه الحيوانات حصلنا على خمس قيمة الطعام الذي تأكلهُ او عشرهُ لاغير . فاذا اتبع العالم رأي النباتيين خوفاً من حلول المجاعة اي اذا كانت الارض التي تستعمل لرعي المواشي تستعمل لانتاج القمح امكننا إبعاد زمن المجاعة الى سنة ٢٠٥٠

وعلاوة عن استخدام الاراضي المذكورة أعلاه لانتاج الحنطة كسهول الولايات المتحدة وسيبريا فهنالك اراضٍ في الاصقاع الشمالية يمكننا الانتفاع منها — وهي بقاع مكسوة بالحشيش والجراج الغضة وسهول فسيحة الارجاء تشبه سهول الولايات المتحدة

وسيبيريا . فهذه الاراضي لا تصلح لزرع الحنطة ولكن نستطيع الانتفاع بها لتربية المواشي اذا نحن وفقنا الى انتقاء الحيوان الناجن المناسب لها

فهذه جزيرة غرينلندا وهي اكبر جزيرة في الاصقاع الشمالية لا بل من اكبر جزائر الارض يمكن الانتفاع بعشر اراضيها لتربية المواشي على ما تبقى منها مغطى بالثلج على مدار السنة . وقد كان لهذه الجزيرة في الماضي شأن كبير في تربية المواشي فان الجالية الاسوجية التي كانت تقطن فيها بين القرنين العاشر والثالث عشر كانت تصدر الى بلادها والى سائر البلدان الاوربية كل ما يصنع من اللبن كالزبدة والجبن وما اليهما. ولكن هذه الصناعة زالت بزوال هذه الجالية عنها حوالي سنة ١٤٥٠ بعد المسيح لاسباب لا تزال مجهولة . ويقال ان الدانماركيين يفكرون الآن في تربية المواشي في بعض الاماكن الصالحة لذلك بجزيرة اسلندا . وهنالك اراضٍ في غير هذه الجزيرة يمكن استخدامها لتربية المواشي كفرنز جوزف وسبتسبرجن وهيبرغ وألس مير ونورث ديفون وبعض الاماكن في الاسكا وكندا وسيبيريا وخصوصاً الاراضي الواقعة شمالي منطقة الحراج — فمعظم هذه الاراضي صالحة لتربية المواشي لكثرة الكلأ الذي فيها ويصلح للمعيشة فيها حيوان الرنة والثور الاميركي كل السنة ولا خوف عليهما من البرد الشديد

ولقد اهتمت دائرة التربية في الولايات المتحدة بتكثير حيوان الرنة فاحضرت منهُ ١٢٨٠ حيواناً منذ ثلاثين سنة من سيبيريا الى الاسكا فتضاعف عدد هذه الحيوانات كل سنة حتى بلغ ثلاثمائة الف الآن مع انهُ ذُبح منهُ مائة وخمسون الفاً فنشأ من ذلك صناعة كبيرة واخذ لحمهُ يُورَّد الى مطاعم نيويورك وفلادلفيا . وتقول دائرة علم الاحياء : انهُ لا تحمى سنة ١٩٤٠ حتى يكون منهُ في الاسكا من مليون حيوان الى اربعة ملايين حيوان ويكون المصدَّر من لحمهِ كل سنة الى الولايات المتحدة بين خمسين الف طن ومائة الف طن

الخلاصة : لكي ندرأ عنا طوارئ المجاعة العامة يجب ان نزيد مقدار الاطعمة التي تنتجها الارض فنعالج الاراضي الصالحة للمرعى لكي نحصل منها على كل ما يمكن الحصول عليهِ منها بتحويلها الى اراضٍ صالحة لزرع الحبوب والبطاطس والاثمار والراجح ان الاراضي الصالحة لرعي المواشي الآن تتغير في المستقبل (قد يكون ذلك في مدة مائة سنة) الى اراض تنتج الذرة والتفاح وغيرهما . ويرى اصحاب الزراعة ان في شمالي

منطقة الحراج حيث يعيش حيوان الرنة والثور الاميركي أراضي لا تصلح للزراعة ولكنها تصلح للمرعى وتقدر مساحتها بمساحة الولايات المتحدة ضعفاً ونصف ضعف وهي كما يأتي : ٢٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في الاسكا و١٥٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في كندا و٣ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في شمالي اوربا واسيا وهذه كلها صالحة لتربية الرنة والثور الاميركي ويفضل الثاني لسهولة الاستفادة من صوفه الناعم

فهذه الزيادة تعد من الجماعة الكبرى الى سنة ٢٠٨٠ ولكنها تمدها لا غير اذ لا تجهز على العلة من اصلها . فالموت قادم والمجاعة واقعة الا اذا تقدم العلم وصار في الامكان صنع الاطعمة المغذية في معامل الكيماويين من العناصر البسيطة

ويجب أن لا ننسى ما يمكننا الانتفاع به من عالم البحر فهناك الاسماك على اختلاف انواعها والانكليس والحيتان ومجول البحر وبقره والنباتات البحرية وفي الامكان تربية بعض هذه النباتات على اليابسة بوضعها في احواض ملآنة بالمياه المالحة . فاذا اعتمدنا على هذا المورد الجديد ارجأنا زمن المجاعة مائة سنة اي الى سنة ٢١٨٠

نعود الآن فنسأل انفسنا السؤال الثاني : «هل يأتي يوم تضيق فيه الارض بسكانها حتى لا يجدوا متسعاً لهم على سطحها يقفون فيه مع ما هنالك من الاماكن الواسعة الفارغة من السكان في افريقيا واسيا واميركا الشمالية واميركا الجنوبية واستراليا ؟ »

نعم ان هذا السؤال حريٌّ بالاعتبار لان العوامل والمساعي المبذولة لزيادة عمر الانسان ووقايته من الامراض كثيرة جداً ، فهناك التناقص الكبير في وفيات الاولاد وهنالك الوسائل الطبية الفعالة لايقاف الامراض الوافدة والاوبئة الجارفة عند حدٍّ لا تتعداه يضاف الى هذا مساعي الاطباء للقضاء على كثير من الامراض والاوبئة التي كانت تذهب قبلاً بحياة الالوف من البشر .

فمن ما يظهر أن ازدحام الارض بالسكان واقعٌ لا محالة ولا امل بارجائه الاّ بالحروب والاوبئة وبتحديد عدد المواليد ما لم تظهر عوامل جديدة قد تغير وجوه هذه المشكلة تغييراً تامًّا

على كل تعش هذه السنين مستريحي البال تاركين حلها لمن يأتي بعدنا والسلام

عن الانكليزية ، جامعة بيروت الاميركانية نجيبٌ نصّار

الروابط التاريخية بين مصر وسورية

ان اول خطوة خطاها الفينيقيون بتجارتهم ومعارفهم كانت الى جارتهم مصر المجوبة . كذلك كانت سورية ممرحاً لفراعنة مصر وملوكها ولاسيما الرعاة (الهكسوس) الساميون وغيرهم فنزلوا وبوعها على الرحب والسعة للاصطياف والارتباع وللاستشفاء والتنزه وللصيد والتجارة وحمل خشب الارز وغيره لبناء السفن ولنقل الاثمار والثلوج والعسل والالبان وما شابه وبالتالي جاءوا هذه الربوع لنشر العبادات وتكريم الآلهة كما فعل سكان هذه البلاد فتمازج الشعبان منذ القديم وكانا كالشقيقين في الحقوق والولاء والاخلاص

شاعت عبادة المصريين في الشام فقيل ان السوريين نحتوا اصنام المصريين لاكرامهم لان سلطة ملوكهم بقيت في سورية رداحاً طويلاً ولاسيما في عهد الاسر المالكة الثلاث الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين فامتزج الشعبان امتزاج الماء بالراح في الاخلاق والعبادات والعادات . فوحد اهل جبيل الاله اوزيريس كلهم أدونيس (تموز) وعبدوهما معاً ولقد ظهرت في الايام الماضي آثار التقادم النفيسة التي حملها المصريون الى آلهة جبيل ومعظمها في متحف بيروت ومتحف اللوفر الفرنسي

وكشفت في غربي حمص كتابة يونانية تدل على تعبد السوريين للاله اوزيريس ايضاً ووجدت تماثيل كثيرة لهُ احدها من الشبه (البرونز) رأيتهُ اخيراً مستخرجاً من ارض حوران

قال اوسابيوس المؤرخ : لاخفاء ان الفينيقيين والمصريين كانوا اول من ألهوا الشمس والقمر والنجوم واول من صرحوا بافضليتها وتعلق الحياة والموت بها فادخلوا بين الناس اساطير الآلهة ونشروها في كل محل

فلهذا اشبهت ديانة الفينيقيين في كثير من شؤونها ديانة مصر وآشور . فآلهة الفينيقيين هي آلهة ممالك النيل والفرات وهي التي اقتبسها منهم اليونان والرومان وحولوها حسب عاداتهم فتطورت الاديان وتمازجت بتطور الامم وتمازجها

ومما عرفهُ الاثريون اخيراً في اسفارهم وابحاثهم ان كثيراً من العبارات المصرية سامية الاصل حملها معهم الساميون الذين هجروا بلادهم شاخصين الى القطر المصري فقال بروغش الاثري الكبير : ان اقدم آلهة المصريين هو (فتاح) سامي الاصل

كذلك سمّى المصريون كثيراً من شعوب الشرق بلغاتهم مثل (الروتنو) سكان سورية وهي كلمة سامية تحريف (اللودنو) وهم اولاد لود بن سام اخ آرام وكان اكبر منهُ فاندغم به . واطلقوا على الساميين اسم (عمو) او (آمو) وهي سامية بمعنى انشب والعامّة وسموا اهل البادية (شاسو) اي (البدو) او (العرب) وهم المعروفون باسم الرعاة حكام مصر الذين دعاهم اليونان (هكسوس) وهي من لفظتين هيروغليفيتين (هيك) اي ملك و(شاسو) البدو بمعنى ملك البدو

واطلقوا على الفينيقيين جيرانهم واصدقائهم اسم (خار) او (خال) وسموا بلاد العرب (الارض المقدسة) او (ارض الآلهة)

وسمّوا بلادهم اولاً بلغتهم (خيمي) ثم عمموا الاسم السامي (مصر) ونرى في هليوبوليس اي مدينة الشمس وهي المطرية او عين شمس حضارة سامية لا تزال آثارها ماثلة الى عهدنا ونرى في هندسة ابي الهول المجنّح اسلوب هندسة البابلية

ومنذ اربعين سنة اكتشفت كتابات تل العمارنة في جهات الفيوم المصرية وهي رسائل ومفاوضات دارت بين امراء سواحل الشام وفراعنة مصر في القرن الخامس عشر قبل المسيح باللغة الفينيقية والقلم الاشوري الشائع اذ ذاك بينهم . فذكروا فيها شؤون بلادهم وما كانت عليه الحضارة الفينيقية من وصف قصور وحصون ومدن واساطيل وحرب وسلم وعهود ولاء ونحو ذلك . ووجدت فيها اسماء مدن سورية كثيرة مثل عكا وصوري (صور)و(صيدونا)صيدا وبيروتا (بيروت) وجبلة (جبيل) وارواد (ارواد) ودمسقا (دمشق) وقطنا قربها وفيها منح فرعون مصر حاكم جبيل (ريب ادّي) الولاية عليها وتسمى بلغتهم (خزانو)

وعرفت معاهدات اخرى سياسية وتجارية وعلمية بين القطرين الشقيقين في ازمنة مختلفة تحتاج في تفصيلها الى مجلدات

ومن غريب ذلك ما في العلاقات اللغوية من الادلة البينة. فان كثيراً من الالفاظ السامية والمصرية تتشابه تشابهاً بيّناً فصّلهُ صديقي العلاّمة المغفور لهُ احمد باشا كمال المصري في معجمهِ المطوّل منها الفاظ البيت والباب والبركة والبئر والكاهن والراس حتى اسم نهر النيل . ومن ذلك البرّ والقمح والحنث (الحنطة) والزت (الزيت) وحرّمان (الرمّان) والجناح للطائر والمرّ للآلة التي يحتفر بها التراب والأزر بمعنى القوة والسادورة بمعنى المواشية والأشر بمعنى البَطَر واليمّ بمعنى البحر الخ

واغرب من كلّ هذا ان بعض الالفاظ العامية بيننا اليوم هي الفاظ مصرية فصيحة مثل (بقّ) الشيء اذا عجّه وبصقهُ و(عدّى) الى المكان اذا جاز ودخل و(العيش) بمعنى الخبز. و(هيّت) به اي صاح وعامتنا تقول (هيّت) عليه وتبدلها فتقول (عيّط) بمعنى زجر وصاح. وقد وُجدت في مصر ادوية طبية منسوبة الى بعض مدن سورية منها ما كان يتخذ لالتهاب العين وهو (برشان مربلوس) اي مدينة جبيل. وكان يُسحق بدقة في الماء ويوضع ضمادة على ظاهر العين للشفاء كما ذكرت الآثار البردية في الادوية الطبية ونقل ذلك الدكتور الاثري حسن كمال في كتابه الطب المصري القديم (صفحة ١٦٨)

ولم يكن المصريون يعرفون الخيل قبل ان يدخل بلادهم ملوك الرعاة وقبل ان يغزو فراعنتهم هذه الديار فحملوا منها الخيل وصوروها وعرفت بلغتهم باسم (سوس) واصل منها كلمة (السايس) عندنا لخادم الخيل وقيّمها

ونصل اقدم علاقة اثرية بين القطرين ما كشفهُ فلاح قرب نهر ابرهيم في لبنان منذ خمس عشرة سنة وهو فأس من الشبّه (البرونز) عليها كتابة هيروغليفية تذكر اسم (تُتمُس) ملك مصر من السلالتين الثالثة او الرابعة تدل على ان المصريين كانوا يقطعون اشجار الارز لسفنهم وهياكلهم وذلك منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. وكذلك ما ظهر من اقلاذ العاج التي حملها الملوك الى مصر في صيدهم الفيل في داخل ارباض الشام

واقدم ما عرفناهُ من دخول الفاتحين المصريين الى هذه الديار غزوة توطمس الاول من الاسرة السابعة عشرة المالكة في مصر فانهُ جاء الشام سنة ١٦٥٠ ق.م ودخل وادي العاصي والليطاني من سورية الجوفة وحارب (الروتنو) سكان البلاد الذين مرت الاشارة الى تسميتهم وذلك في شمالي سورية

وسنة ١٦٢٥ ق.م غزاهم توطمس الثالث ولعصيانهم عليهِ خرّب مدنهم ونكّل بهم شأن الفاتحين للبلاد التي شقت عصا الطاعة. وسنة ١٣٥٠ ق.م كان سيتي الاول من الاسرة التاسعة عشرة قد غزا الفينيقيين لعصيانهم ايضاً وتوغل في البلاد الداخلية ودوّخها ونقل خشب الارز من لبنان لاسطولهِ الضخم. وتبعهُ خلفهُ رعمسيس الثاني المسمى (سيزوستريس) فحارب الحثيين خلفاء الروتنو (الروتنيين) حرباً سجالاً ولاسيما على شاطىء بحيرة قدس (قطّينة قرب حمص) وكاد يهلك ولكنهُ تملّص بحيلة من اظافر الموت. فعاهد ملك الحثيين وتزوّج بابنتهِ فجدّد العلاقات بين المملكتين. وكان شاعر هذا الملك هو (بنتاؤور) المصري فنظم قصيدة في وصف هذه المعركة

الهائلة ذكرتها كتب الآثار منعني عن نشرها ضيق المقام

ولقد توغل سيزوستريس في بلاد الشام حتى كيليكية وسهول انفرت وترك آثاره في درج نهر الكلب بمثلة رسمهُ في نوبه الملكي امام معبود (رع) ساجداً لهُ . وهناك كتابة هيروغليفية تصف فتوحاته وغزواته الكثيرة

وكان خلفاء الاسكندر المكدوني الذين عُرقت دولتهم بدولة البطالسة في مصر والسلوقية في سورية قد اتخذوا هذه البقعة (اي وادي الليطاني والعاصي والزبداني او سورية المجوفة) مباءة لهم وساحة حراك في القرون الثلاثة قبل الميلاد فكانوا يسيرون في هذه السهول الفيحاء بالسفن لانها كانت بحيرات واتخذ بعض ملوكهم هذه البقاع مهراً في الزواج وذكرت فيها مدينتان قديمتان (كرا) و (بروشوم) وارجح ان (كرا) هي كرك نوح او كرخ نوح واللفظة سريانية بمعنى الحصن وهي في جوارنا (اي جوار زحلة) وأما كلة (بروشوم) فيونانية بمعنى الستر والحصن ولعلها كانت قلعة عنجر او خلكيس القديمة (١) . او ان (بوارش) فوق المريجات في سفح جبل سكنيسة الآن هي تحريف بروشوم والله اعلم

وكان الملوك والاعيان يهدون الى الهياكل في القطرين تماثيل وانصاباً وآنية عبادة ويبنون الهياكل وينحتون الآلهة كما ذكر المؤرخون وكما تشهد الآثار الباقية في تهاديهم . ففي بعلبك هياكل مصرية واصنام افريقية وكذلك في غيرها . وفي مدائن صالح بوادي موسى بناء فخم يسمى (خزنة فرعون) وهو من انفس آثارها . وفي هياكلنا القديمة واطلالنا كثير من الحجارة الاسوانية وغيرها التي نقلت من مقاطع مصر ولا تزال ماثلة بضخامتها وضخامتها تفاوي انياب الدهر . وكانت بين الحبشة واليمن علاقات قديمة امتدت الى سورية ومنها لفظة (البن) للشراب المعروف من مقتبسات اللغتين

وكفى بآثار الدير البحري دليلاً على مصاهرة ملوك القطرين الشقيقين ولاسيما لبنان . وبآثار الكرنك التي تبين العلاقات والمعاهدات شاهداً على هذا القول

فبهذه الامتزاجات والمعاهدات والعبادات على اختلافها كانت العلائق بين القطرين وثيقة العرى فاقتبس كل منهما عن الآخر ما اقتبس

ومن تلك الادلة ادخال المصريين لعبادة الكنعانيين (البعل) الذي شبهوهُ بالشمس وعبدوا زوجته (استارتا) اي عشتروت المشبهة للقمر . واتخذوا من آسية

(١) راجع مقالة مطولة في عنجر وحصنها نشرتها في مجلة المقتطف مجلد ٦٥ ص٥٨ وص ١٩٤

آلهة اخرى . وهكذا جرى لسكان الشام وفلسطين فان الاسرائيليين اقتبسوا من المصريين عبادة العجل (ايبس المصري)

وثبت للباحثين المحققين ان كثيراً من آثار الفينيقيين مقتبس عن الهندسة المصرية ايام حكم الفراعنة للامتين حتى عهد اليونان . ومن ذلك اساليب بناء المعابد والمدافن ونحت التماثيل والنواويس وعمل الاسلحة والحلى والادوات واتخاذ الازياء فضلاً عما اقتبسوه من الاخلاق والعادات . وفي آثار البردي المصري وكتابات الشام الحجرية ما يدل على تبادل الامتين الحضارة الموحَّدة . وفي تواريخ القطرين وكتب التراجم لمشاهيرهم ما يدل على العناية بالتحقيق وصدق الولاء مما طبع او بقي محفوظاً وهو كثير في خفايا الخزائن

فكانت هذه العلاقات ولا تزال تتجدد رغم ما يفاجئها من التقاطع والتدابر كلما سُنحت الفرص الى ان عادت الى مجاريها في العصر الماضي فصار كل من القطرين يطمح آمال الشعبين ينال الواحد في الآخر ما ينالهُ اخوهُ من التكريم والاجلال فكان الوطنان واحداً والنازل من احدهما في الآخر ليس بغريب بل هو ابن البيت ومظهر التكريم

***

ومن الادلة الثابتة على الروابط بين القطرين ما في تحليل الاعلام الشامية التي اصلها مصريٌّ . وها انا اورد الآن بعضها مثالاً لغيره مما في هذه الاسماء من آثار الاساطير (المثولوجية)

الليطاني: وهو النهر الذي يتخلل البقاع (سورية المجوفة) ليس الاَّ اسماً مصريًّا محرَّف اللوداني بالابدال . فقالوا نهر الروتاني (الروتانو) ثم انتقل الى هذه الصيغة

القرعون : اسم قرية في البقاع الغربي لعلها من (قب) بمعنى مركز و (رع) نور و (آون) الشمس فيكون معناها (مقر نور الشمس) . عرعان : قرية خربة قربها لعلها من (عين) و (رع) و (آون) اي عين نور الشمس . ولا عجب فان عبادة الشمس في هذا السهل عمت جميع المشارف وكثرت هياكلها وآثارها في كل قرية وبقعة

جبّ جنين — من (جب) بمعنى بئر و (جينون) الاهة مصرية من بنيها المريخ اله الحرب

مارع — قرب مشغره في غربي البقاع ويقال لها (باب مارع) وهي مسماة بالمعبودين

الهائلة ذكرتها كتب الآثار مغنٍ عن نشرها ضيق المقام

ولقد توغل سيزوستريس في بلاد الشام حتى كيليكية وسهول الفرات وترك آثاره في درج نهر الكلب تمثالاً رسمهُ في ثوبهِ الملكي أمام معبود (رع) ساجداً لهُ. وهناك كتابة هيروغليفية تصف فتوحاته وغزواته الكثيرة

وكان خلفاء الاسكندر المكدوني الذين عُرفت دولتهم بدولة البطالسة في مصر والسلوقية في سورية قد اتخذوا هذه البقعة (اي وادي الليطاني والعاصي والزبداني او سورية المجوفة) مباءة لهم وساحة عراك في القرون الثلاثة قبل الميلاد فكانوا يسيرون في هذه السهول الفيحاء بالسفن لانها كانت بحيرات واتخذ بعض ملوكهم هذه البقاع مهراً في الزواج وذكرت فيها مدينتان قديمتان (كرا) و (بروشوم) وارجح ان (كرا) هي كرك نوح او كرخ نوح واللفظة سريانية بمعنى الحصن وهي في جوارنا (اي جوار زحلة) واما كلمة (بروشوم) فيونانية بمعنى الستر والحصن ولعلها كانت قلعة عنجر او خلكيس القديمة (١). او ان (بوارش) فوق المريجات في سفح جبل الكنيسة هي تحريف بروشوم والله اعلم

وكان الملوك والاعيان يهدون الى الهياكل في القطرين تماثيل وانصاباً وآنية عبادة ويبنون الهياكل وينحتون الآلهة كما ذكر المؤرخون وكما تشهد الآثار الباقية في تماديهم. ففي بعلبك هياكل مصرية واصنام افريقية وكذلك في غيرها. وفي مدائن صالح بوادي موسى بناء فخم يسمى (خزنة فرعون) وهو من انفس آثارها. وفي هيكلها القديم واطلالها كثير من الحجارة الاسوانية وغيرها التي نقلت من مقاطع مصر ولا تزال ماثلة بفخامتها وضخامتها تقاوي انياب الدهر. وكانت بين الحبشة واليمن علاقات قديمة امتدت الى سورية ومنها لفظة (البن) للشراب المعروف من مقتبسات اللغتين

وكفى بآثار البحري دليلاً على مصاهرة ملوك القطرين الشقيقين ولاسيما لبنان. وبآثار الكرنك التي تبين العلاقات والمعاهدات شاهداً على هذا القول

فبهذه الامتزاجات والمعاهدات والعبادات على اختلافها كانت العلائق بين القطرين وثيقة العرى فاقتبس كل منهما عن الآخر ما اقتبس

ومن تلك الأدلة ادخال المصريين لعبادة الكنعانيين (البعل) الذي شبهوهُ بالشمس وعبدوا زوجته (استارتا) اي عشتروت المشبهة للقمر. واتخذوا من آسية

(١) راجع مقالة مطولة في عنجر وحصنها نشرتها في مجلة المقتطف مجلد ٦٥ ص٥٨ وص

آلهة اخرى . وهكذا جرى لسكان الشام وفلسطين فان الاسرائيليين اقتبسوا من المصريين عبادة العجل (ايبس المصري)

وثبت للباحثين المحققين ان كثيراً من آثار الفينيقيين مقتبس عن الهندسة المصرية ايام حكم الفراعنة للامتين حتى عهد اليونان . ومن ذلك اساليب بناء المعابد والمدافن ونحت التماثيل والنواويس وعمل الاسلحة والحلى والادوات واتخاذ الازياء فضلاً عما اقتبسوه من الاخلاق والعادات . وفي آثار البردي المصري وكتابات الشام الحجرية ما يدل على تبادل الامتين الحضارة الموحَّدة . وفي تواريخ القطرين وكتب التراجم لمشاهيرهم ما يدل على العناية بالتحقيق وصدق الولاء مما طبع او بقي محفوظاً وهو كثير في خفايا الخزائن

فكانت هذه العلاقات ولا تزال تتجدد رغم ما يفاجئها من التقاطع والتدابر كلما سنحت الفرص الى ان عادت الى مجاريها في العصر الماضي فصار كل من القطرين مطمح آمال الشعبين ينال الواحد في الآخر ما ينالهُ اخوهُ من التكريم والاجلال فكأن الوطنان واحداً والنازل من احدهما في الآخر ليس بغريب بل هو ابن البيت ومظهر التكريم

***

ومن الادلة الثابتة على الروابط بين القطرين ما في تحليل الاعلام الشامية التي اصلها مصريٌّ . وها انا اورد الآن بعضها مثالاً لنيرم لما في هذه الاسماء من آثار الاساطير (المثولوجية)

الليطاني: وهو النهر الذي يتخلل البقاع (سورية المجوفة) ليس الاسم مصريًّا تحريف اللوداني بالابدال . فقالوا نهر الروتاني (الروتانو) ثم انتقل الى هذه الصيغة

القرعون : اسم قرية في البقاع الغربي لعلها من (قبّ) بمعنى مركز و (رع) نور و (آون) الشمس فيكون معناها (مقر نور الشمس) . عرعان : قرية خربة قربها لعلها من (عين) و (رع) و (آون) اي عين نور الشمس . ولا عجب فان عبادة الشمس في هذا السهل عمت جميع المشارف وكثرت هياكلها وآثارها في كل قرية وبقعة

جبّ جنين — من (جب) بمعنى بئر و (جينون) الاهة مصرية من بنيها المريخ اله الحرب

ماروع — قرب مشمره في غربي البقاع ويقال لها (باب ماروع) وهي مسماة بالمعبودين

المصريين (ما) وشقيقها (رع) . فحاربة العدل والحق . ورع من اسماء الشمس . او انها تحريف (امون رع) وهي الشمس عند غروبها وقرية منها قرية (قب الياس) و (بر الياس) [1] من اسماء الشمس وكذلك بقاع عزيز وعزيز اله سامي

يبوس — ومنها في البقاع الشمالي وبلاد بعلبك (يَبُوس) ولعلها تحريف (ابيس) اي العجل الذي عبده المصريون

طَلْيا — اسم قرية قرب رياق (موقف القطار الحديدي بين دمشق وحلب وبيروت) وفي مصر (طَلْيا) من اعمال المنوفية واليها ينسب عبد الرحمن بن سلام ابن اسمعيل الصعيدي الطلياوي ثم القاهري.

بِسْتي — قرب الفرزل ولعلها من (باست) المصرية وهي ارطاميس وإلهة النار كانوا يصورونها براس عجل وراس اسد معاً ومنها (تل بست) في القطر المصري

رِعِشْت — لعلها مؤنث (رع) اله الشمس ويقولون فيها (رعْتي)

النبي شيت — ليست كلمة (شيت) هذه الا تحريف (سخيت) الاله المصري وهو يرسم بجسم امرأة وراس لبوءة عليها قرص شمس . ويقال في هذه اللفظة (شتّ) و(شتّخ) . ولعلّ منها اسم (شَمَشَت) في بعلبك وقد ترجمت بالعبرية فسميت بها قرية (المبوة) ولا اخالها مشهورة بسدها كما ظن صديقي الاب لامنس العلامة الاثري وتأتي ايضاً بمعنى (سعد) الصخرة التي عبدها العرب ومنها اسم (سعد تايل) قرب زحلة.

حرْبُتا — في مصر بلدة اسمها (خربُتا) فلعلها محرفة عنها او هي من كلتين (حور) و (بتاح) وهما الهان مصريان حور يسميه اليونان ابلّون ويقال انهُ اسم سامي الاصل

عين حور — قرب الزبداني وبلودان لعلها تحريف (أنحوّر) الاله المصري او مركبة من (عين) السامية و(حور) المصرية

بُرُوتة — اطلال قرية قرب نبع الفاعور شرق معلقة زحلة الجنوبي ولعلها التي ذكرها الكتاب المقدس بهذا الاسم وظن العلامة الدكتور بوستْ الاميركي في (قاموس الكتاب) [2] انها (بريتان) . والراجح انها منحوتة من (بيت) و(روتة) ولعل مثلها مدينة (بيروت) و (برتي) في جزين

بريتان — منحوتة من (بيت) و (روتان) اي بيت الزوتين وكان اسم (بلودان)

(١) راجع مقالتي في قب الياس وقلدنيا في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٢ ص ٣٥٤
(٢) راجع في قاموس الكتاب المقدس لبوست (بيروثاي)

قرب الزبداني يدل على بيت اللودين باللغة الآرامية كما يدل الاول عليه باللغة المصرية

الزيرة — اسم محلات كثيرة في البقاع لعلها تحريف (اوزيريس) الهة الزراعة المصرية . وفوق بيروت بينها وبين قرية بيت مري محلة (الزيرة) لعلها لهذه العبادة

بيروت — مرَّ بنا الترجيح انها ربما كانت من (بيت) و (روت) اي بيت الروتين

بيت مري — قرية في لبنان تشرف على بيروت لعلها من (بيت) و (موري) بمعنى البحيرة باللغة المصرية ،اي بيت البحيرة او البحر لانها تشرف عليه ومنظرها من اجمل المناظر

عَيْشَات — في شوف لبنان لعلها من (عَنْشَات) الهة الحرب عند المصريين ولعل مثلها (عيناتا) و(عينا) في البقاع وبعلبك

بَردَى وبَرَدَوني — واذا شئنا التوسع قليلاً وجدنا ان اسم هذين النهرين في دمشق وزحلة يرجع الى (اللودين او الروتين) وكلاهما في سورية المجوفة حيث كان هذا الشعب وفي بعلبك قرب مدينها قرية (حوش بَرَدى)

فتوح كسروان — لعلها تحريف الاله (بتاح) او (فتاح) المصري ومما يؤيد هذا الرأي وجود صحيفة هيروغليفية في درج نهر الكلب تتضمن تقدمة لهذا الاله المصري

وعلى ذكر درج نهر الكلب اصف باختصار آثار مصر المنقوشة على صخوره :

(١) رقيم مصري فيه رسم الاله (عمون) او (آمون) وبعض الفراعنة

(٢) كتابة هيروغليفية تصف تقدمة للاله (فتاح) المصري

(٣) نصب مصري يمثل فرعوناً منتصباً امام (رع) اله الشمس يقدم له ضحية

واقدم كتابات درج نهر الكلب الخطوط المصرية التي امر بنقشها رعمسيس الثاني او فرعون موسى . وهو الذي سماه اليونان (سيزوستريس) في آخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وقد وصف في هذه الكتابة غاراته وفتوحاته الكثيرة كما مرَّت الاشارة

ذلك الى كثير من اشباه هذه الادلة الاثرية الثابتة اذا استنطقتها على حدّ قول الشريف الرضي :

نصف الديار انا قطنّاها . والمعالي والمساعي والنجارا

واذا لم تدر ما قوم مضوا فاسأل الآثار عنهم والديارا

عيسى اسكندر المعلوف

زحلة لبنان صاحب مجلة الآثار

متحف الاسكندرية ومكتبتها

ولمحة من تاريخها العلمي في عهد البطالسة

[كنا بالامس نراجع فصولاً في كتاب « مختصر التاريخ » الذي وضعهُ الكاتب الانكليزي المشهور المستر هربرت ج. ولز فوقع نظرنا على فصل طيّ عن تاريخ الاسكندرية العلمي في عهد البطالسة فاقتطفنا منهُ ما يلي] .

كانت مصر الشطر الذي نالهُ القائد بطليموس من مملكة الاسكندر الكبير المترامية الاطراف بعد وفاة ذلك الفاتح العظيم. ساعدها موقعها الجغرافي على بلوغ رتبة رفيعة بين امم العصر لان بعدها عن قبائل الشمال الغازية وتحطيم اسطول الفينيقيين بعد حصار صور وافتتاحها عنوة جعلها في مأمن من هجمات الاعداء فرتع اهلوها في بحبوحة من العيش والرخاء وتسنى لهم ان ينصرفوا عن الاهتمام بامور معيشتهم والدفاع عن مواطنهم الى انشاء المدارس والاندية العلمية . فاصبحت الاسكندرية المدينة التجارية محطّ رحال الفلاسفة والعلماء ومقرًّا للمفكرين قاطبة طلاب المعارف من كل البلدان المجاورة لبحر المتوسط ، فتقدمت فيها المباحث العلمية تقدماً بيّناً لان بطليموس الاول كان محبًّا للعلم يعنى بارضاء العلماء والفلاسفة ، وبما يكفل لهم امور معيشتهم ليتفرغوا للبحث والتنقيب .

بنى بطليموس في الاسكندرية المتحف[1] المشهور الذي كان في ظاهره مجتمعاً دينيًّا ولكنهُ كان في الحقيقة ناديًا لاقطاب العلم والفلسفة والدين . وكان بطليموس قد علم ان الناس لا يقبلون على نصرة عمل كبير كهذا الاّ اذا كان لهُ صبغة دينية — والدين في ذلك الزمان كان من اقوى العوامل في حياة الافراد والشعوب .

كان ذلك المتحف ناديًا للعلماء والمفكرين الذين جعلوا التنقيب العلمي غايتهم في الحياة وقد بلغت تعاليمهم الرياضية والجغرافية درجة بعيدة من الدقة والتحقيق . فبين الرجال الذين قدموا الاسكندرية لمتابعة المباحث العلمية المجردة فيها نجد اقليدس

---

(١) ترجمنا كلمة « ميوزيم » بمتحف كما هو شائع ومعناها في الاصل « هيكل للالهة » وهي من لفظتين يونانيتين الاولى موزيون ومعناها هيكل والثانية موز ومعناها آلهة . واللفظة تطلق الآن في اللغات الافرنجية على كل بناية او غرفة تحفظ فيها آثار علمية او فنية او ادبية

الرياضي الشهير صاحب القضايا الهندسية المعروفة . واراتستنز Eratosthenes العالم الجغرافي الذي تمكن من معرفة حجم الارض وقياس طول قطرها على وجه التقريب فقال بطوله يختلف ٥٠ ميلاً عن الطول المقرر لدى علماء اليوم ، وابولونيوس Apollonius صاحب الكتابات المعروفة في الاشكال المخروطية ، وهيارخوس الذي جرّب ان يصنع ازياجاً دقيقة للكواكب المعروفة آنئذٍ ليلاحظ كلّ تغير يقع في مراكزها ، وهيرو الذي صنع اول آلة بخارية وارخميدس الذي جاء الاسكندرية وتوفّر فيها على البحث العلمي ولما برحها بقي على اتصال بعلمائها ، وهروفيلس Herophilus العالم التشريحي العظيم الذي كان يشرح اجسام المجرمين المحكومين وهم احياء ليكشف حقائق جديدة عن تركيب جسم الانسان.

اما المكتبة التي بناها بطليموس الاول الى جانب بناية المتحف فكانت تمثالاً ناطقاً بهمة ذلك الملك المحب للعلم والعلماء — اذ جمع في هذا العمل الكبير بين مكتبة عمومية يؤمّها جماهير الطلاب والمفكرين للدرس والمطالعة وشركة تجارية لنسخ الكتب وبيعها. ولا تمام غرضه الاخير دعا طائفة من النساخ البارعين ليقوموا بهذا العمل ، وربط ادارة فرعيّ المكتبة برجل كبير يدعى كاليماخس Callimanchus فنالت في ايامه نجاحاً باهراً ووضع للكتب التي كانت فيها بياناً (كاتالوج) وافياً يسهل على طلاب العلم مراجعة الكتب التي يريدونها في اقصر وقت واقل عناء

عند ما نذكر لفظة « كتاب » يتبادر الى الذهن هيئة مجلد حديث ، لفليف الطبع متقنهُ ، جيد الورق صقيلهُ ، حسن التبويب والتقسيم ، يسهل فتحهُ وتقليب صفحاته يحوي في آخره فهرساً لموضوعات الفصول المختلفة وآخر لاسماء الكتب التي اعتمد عليها الكاتب بل نرى في كثير من الكتب العلمية معاجم وافية لتفسير الكلمات الغامضة والدلالة على لفظها الصحيح . ولكن يجب الاّ يبرح من الذهن ان الكتب التي كانت في مكتبة الاسكندرية لم تكن على شيء من ذلك بل كان معظمها او كلها لفائف من البردي نسخت عليها اكثر المؤلفات القيمة القديمة . وكان يضطر المطالع ان يأخذ المؤلفات التي يريد درسها لفّةً لفّةً ويبسطها ، ليطّلع على محتوياتها ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على الكتاب او اللفّة لما يمحى منها بواسطة الطيّ والنشر وما يعلق بها من الاقذار وعرق اليدين فلا تلبث ان تتلف

ولما رأى كاليماخس صعوبة استيعاب المؤلفات الكبيرة كتاريخ هيرودتس قسمها الى فقرات صغيرة ودعى كلاً منها كتاباً او مجلداً

ويجدر بنا ونحن في هذا الصدد ان نقابل بين الاحوال التي كتب وألف فيها العلماء والفلاسفة الاقدمون ، والاحوال التي تحيط بعلماء العصر الحالي وكتبه

يجلس الكاتب العصري اليوم الى مكتبته ليكتب في الموضوع الفلاني فيجد بين يديه قاموساً دقيقاً ودائرة معارف حديثة تحوي كل ضروب العلم وانواع الفنون ، وقاموساً للاعلام وقاموساً جغرافيًّا واطلساً وغيرها من الكتب التي تقرب للكاتب معرفة الحقائق وتسهل عليه ضبطها . ولكن اذا تصفحنا التاريخ وجدنا ان علماء الاسكندرية وغيرها من المدن القديمة التي اشتهرت بالعلم والفلسفة لم يكن لديهم هذه الوسائل التي تمهد لهم سبيل البحث والتأليف فكان يتحتم عليهم ان يقضوا الساعات طوال بل الايام والشهور باحثين ومنقبين عن حقائق لا تستغرق معرفتها الآن دقيقة او دقيقتين

وبعد ما ينهي الكاتب العصري مقالهُ او كتابهُ يرسلهُ الى المطبعة فتنضد حروفه وتطبع المسودة وترسل اليه فينقحها ويغير فيها ما شاء ويعيدها الى منضد الحروف فيصلح ما فيها من الخطإ وفي مدة وجيزة يستطيع ان يطبع منها مئات بل الوف النسخ اما الكاتب القديم فكان يعطي كتابهُ للنساخ بعد اكمانهِ ولا يخفى ما في النسخ من المشقة وقلة التدقيق فتنقلب العبارات حتى تدلَّ على ما يناقض معناها الاصليّ ولذلك كان سير العلم من الخاصة الى العامة بطيئاً كل البطء . فعلم كعلم التشريح مثلاً لم ينتشر ولم تعمَّ حقائقهُ الاَّ بعد ما تمكن المستنبطون من استنباط اسلوب يمكنهم من طبع صور الاعضاء والعضلات والعظام وغيرها من اعضاء الجسم توضيحاً للمعنى على نسخ عديدة بنفقة قليلة

ليس في التاريخ ما يثبت ان علماء الاسكندرية جربوا ان يستعملوا الطباعة كما نستعملها الآن فيدهشنا ذلك لان الناس كانوا حينئذٍ متعطشين للارتواء من مناهل العلم والفلسفة ، مستعدين لشراء الكتب والمطبوعات التي تسهل عليهم قصدهم . وزد على ذلك ان مقتضيات العصر كانت تتطلب كثيراً من الاعلانات والنشرات ولكن مع كل هذه العوامل التي جعلت وجود الطباعة ضروريًّا لم تستعمل الطباعة الاَّ في اوربا بعد عصر النهضة . لكنَّ مبدأها كان معروفاً منذ فجر التاريخ ، ولدى علماء التاريخ كثيرٌ من الادلة على ان الانسان الباليولثي Paleolithic كان يطبع بعض الصور على الجلود . وليس

سك النقود القديمة الا نوعاً من الطباعة البسيطة . والسبب في اهمال الطباعة على الاساليب الحديثة حينئذٍ عائدٌ ولا ريب الى عدم الحصول على مادة كالورق تصلح للطباعة . ثم ان المصريين القدماء استعملوا البرديّ للكتابة وكتاب الاموات شاهد على ذلك، ولكن البرديّ لا يصلح لطباعة لان قطعهُ غير متساوية في الحجم والتخانة ، واما الورق على عهدنا به في هذا العصر فاخترعهُ الصينيون ولم يكن قد وصل الى الشرق الادنى حينئذٍ ، ولو وجدت المطابع لاضطرت ان تتوقف عن العمل منتظرة تحضير لفائف البرديّ او وصول بالات الورق الصيني . ولكن هذا التعليل لاهمال الطباعة حينئذٍ لا يعلل اهمال استعمالها لطباعة الصور والرسوم بحفر الاصل على قطع خشبية او حجرية اولاً

ثم كان كلٌّ من متحف الاسكندرية ومكتبتها مصدر نور علمي باهر ولكنهُ كان نوراً يحيط بهِ الواح سوداء تمنع انتشار النور الى عامة الناس ولذلك بقي العلم محصوراً في طبقة خاصة منهم . وكان يتحتم على الانسان الذي يريد ان يتعمق في الدرس والعلم ان يهجر الحياة العمومية ويقطع المسافات الشاسعة حتى يهبط مدينة مشهورة بعلمائها فيدرس عليهم ويعاشرهم ويتثقف بتعاليمهم وحكمتهم . ولكن هذه الشعلة العلمية بل هذه الثورة الفكرية البعيدة المدى لم تدم اكثر من قرن واحد لان نظام المتحف نفسهُ لم يساعد على ذلك . فقد كان المتحف مشروعاً ملكيًّا وكان العلماء يتقاضون راتباً شهريًّا من الملك بطليموس ولذلك لما توفي كلٌّ من بطليموس الاول وبطليموس الثاني ، خبت تلك الشعلة وسكنت تلك الثورة لان ملوك البطالسة الذين عقبوهما لم يكونوا من انصار العلم ومحبي الفلسفة

هجرت الحكمة الاسكندرية وتركت فيها التظاهر بالعلم والتصنع في الكلام ، وخلف الانتفاعَ بالكتب عبادتُها ، ولم يمرّ على الاسكندرية اكثر من قرن حتى نزل في متحفها ومكتبتها رجال يختلفون كل الاختلاف عن علمائها الاول . رجال متعصبون ولكن لا مذاهب لهم ، اعمالهم كالمشعوذين ولكن ليس لهم عصا السحر ولا كهوف الساحرين ، يهتمون بجزئيات الامور ولا يدركون كلياتها ، لا يثنيهم عن نسخ الكتب ثانٍ مهما صعب العمل ولا يردعهم عن طلاب الكتب النادرة رادع مهما بعد المنال ، ولكنهم بدلاً من ان يزيدوا تلك الشعلة الفكرية اتقاداً واشتعالاً ، قضوا عليها بتضييقهم وتقييدهم ، فخبت وانطفأت

مذهب دارون في الميزان

رأيه في اصل الانسان والبحث العلمي الحديث

للسر ارثر كيث

٢

ان الادلة المبنية على البحث في الآثار المتحجرة التي تثبت ارتقاء الانسان من كائن شبيه بالقردة الى ما هو عليه الآن أدلة قاطعة. ولكن جمع هذه الادلة وتحقيقها كان أكبر مشقة وأكثر تعقيداً مما كان يظن في ايام دارون. كان الرأي القديم في ارتقاء الانسان يمثل بسلسلة من صور الهياكل العظمية مطردة الارتقاء ادناها هيكل الجبون واعلاها هيكل الانسان. وقد كنا ننتظر لسذاجتنا ان نعثر على آثار متحجرة يمكن ترتيبها في شكل سلسلة تبين اطراد ارتقاء الانسان. ولو نحن ذكرنا ان الرائد الى درس الماضي هو العناية بدرس الزمن الحاضر لما ارتكبنا هذا الخطأ الفاحش. ان اجناس الناس في هذا الزمن كثيرة متشعبة الفروع منها الاسود والاسمر والاصفر والابيض والاحمر. ومن هذه الاجناس ما هو آخذ في التزايد والانتشار ومنها ما هو آخذ في الضعف والانقراض. وقد دلت مباحثنا على ان سكان الارض منذ قرون كثيرة كانوا اجناساً، بينها فروق واختلافات اكبر من الفروق والاختلافات التي نراها بين اجناس البشر الآن. وان ما نراه في هذا الزمن من تقدم بعض هذه الاجناس وتكاثرها وتأخر البعض الآخر وانقراضه كان قائماً في العصور المتوغلة في القدم. وعليه فيجب ألا ننتظر الحصول على درجات ارتقاء الانسان كلها سلسلة مطردة الارتقاء بل يجب ان نكشف طريقنا الى اصله في سبل معوجة آفاً ومتقاطعة آونة كأنها شبكة من الشباك

ثم ارتكبنا خطأ آخر. عرفنا اننا ننتظر الوصول في بحثنا عن اصل الانسان — الى عصر احياؤه اقرب الى القردة منهم الى البشر، فكان لزاماً علينا ان نكون عارفين بالاحوال التي كانت تحيط بتلك القردة الشبيهة بالانسان في ذلك الزمان البعيد. وكان لزاماً علينا ان نكون مستعدين لان نعثر على قردة بينها من وجوه الاختلاف ما بين

الشمبانزي والاورانغ اوتان الآن، ولان نرى بعض انواع القردة محصوراً في بقاع مختلفة على سطح الارض كما هي الحال في زماننا. وقد بدأنا نعرف هذه الحقيقة وكنا توغلنا في العصور القديمة ثبت لنا ان البشر كانوا حينئذٍ اجناساً مختلفة كما هم الآن لا بل ان اجناسهم كانت منقسمة الى فروع وانواع مختلفة ايضاً وكلما زدنا توغلاً في العصور القديمة وجدنا من وجوه الاختلاف بين هذه الانواع ما يحتم علينا حسبانها انواعاً مستقلة. ففي هذا التيه من متحجرات احياء منقرضة مطمورة هنا وهناك في انحاء الارض يجب علينا ان نكشف طريقنا المتعرج الى اصل الانسان. اتعجبون اذاً، ان نحن تعثرنا احياناً واتبعنا خطأ طريق الضلال

ثم ارتكبنا خطأً آخر في البحث عن اصل الانسان. ذلك اننا كنا ننتظر ان نجد كل عضو من اعضاء الانسان — جمجمتهُ ودماغهُ وفكيهِ واسنانهُ وجلدهُ — مطرداً في ارتقائهِ من الشكل القردي الى الشكل البشري؛ فكنا ننتظر ان نجد في كل مرتبة من مراتب ارتقاء الانسان كلاً من هذه الاعضاء وقد اصبح اكثر شبهاً بمميزات الانسان واقل اتصالاً بمميزات القردة. وقد دلّت مباحثنا أن ارتقاء الانسان لم يكن منتظماً هذا الانتظام الذي كنا ننتظر. ففي بعض الانواع المنقرضة نجد ان بعض الاعضاء ارتقت ارتقاء بيّناً والبعض الآخر بقي على حالهِ لا يصيبهُ الارتقاء والتطور باثر ما. واسمحوا لي الآن ان امثل على ذلك لان لهذا الوجه من البحث شأناً خطيراً في موضوعنا

اتيا لكم الآن انهُ لما كان دارون جالساً في مكتبهِ بدون كان على ثلاثين ميلاً منهُ في طبقة من الحصى في بلد بلتدون باسكس جمجمة بشرية متحجرة وفك بشري متحجر. كُشف هذان الاثران المتحجران سنة ١٩١٢ بعد ما انقضى نحو ثلاثين سنة على وفاة دارون، كشفهما المستر شارلس دوسن واخذهما الى صديقي السر ارثر ودورد فوصفهما وصفاً دقيقاً وعرف ان الجمجمة والفك لانسان واحد وان هذا الانسان عاش في فاتحة عصر البلستوسين. ويحق لنا ان نقول الآن بان هذا الانسان يمثل الناس الذين كانوا يقطنون بلاد الانكليز في ذلك العصر القديم. اما الجمجمة فمع تحجرها وكثافة جدرانها تشبه جمجمة حديثة شبهاً كبيراً واما الفك فكان كثير الشبه بفكوك القردة بعيداً عن فك الانسان حتى لقد انكر بعض العلماء ان الفك والجمجمة لانسان واحد وحسبوا ان الفك الاسفل لنوع منقرض من انواع الشمبانزي. وما كان هؤلاء

الباحثون يرتكبون هذا الخطأ لو كانوا قد درسوا تشريع المقابلة . لان هذا الدرس كان يعدّهم لفهم ما يعرف الآن لدى العلماء « بمغايرات النشوء » وهذا التغاير في ارتقاء الاعضاء المختلفة ظاهر في تشريع « البثكانثروبوس » الذي وجدت آثاره المتحجرة في جزيرة جاوى . فان عظمة الفخذ الخاصة بانسان جاوى تشبه عظمة الفخذ في انسان معاصر واما جمجمته فشبيهة بجمجمة قرد مع ان دماغه ارقى من دماغ القرد رقيًّا يسيرًا . فلو ان عظمة الفك الاسفل من انسان بلتدون وجدت في بلتدون وحدها لكنا قلنا انها فك قرد شبيه بالانسان من رتبة عالية . ولو ان الباحث عثر على عظمة الفخذ من انسان بثكانثروبوس في جاوى من غير ان يعثر على الجمجمة ايضاً لكنا قلنا انها عظمة انسان راقٍ مع ان الاولى فك انسان راقٍ والثانية عظمة انسان شبيهة بالقرد وهو ادنى مراتب الانسان

ان هذه الامثلة تبين المصاعب والمخاطر التي تعرض لها حين البحث عن اصل الانسان . ومع ذلك فامامنا مصاعب اخرى يجب التغلب عليها اذ في تاريخ الانسان الجيولوجي صفحات لا تزال غامضة . وكلما تقدمنا في مباحثنا أزيلت بعض هذه الغوامض . ولكن لنقف قليلاً ولنجيل الطرف في انواع هذه الغوامض ومداها

اعتماداً على كشف آثار الانسان المتحجرة تتبعنا اصل الانسان الى خاتمة عصر البليوسين — وهو عصر امتد نحو ربع مليون سنة . ولكننا لم نتمكن حتى الآن من معرفة تفاصيل ارتقائه في ذلك العصر معرفة دقيقة . وقد عثر الباحثون على اسنان متحجرة في طبقات من عصر البليوسين ولا نعلم هل هذه الاسنان اسنان رجل شبيه بالقردة او قرد شبيه بالانسان . هذا امر لا يمكننا الفصل فيه حتى نجد آثاراً متحجرة لاعضاء اخرى من اعضاء الاحياء العليا التي كانت عائشة في ذلك العصر . ومتى انتقلنا بعصر البليوسين وهو عصر امتد نحو نصف مليون سنة على الاقل بلغنا عصر القردة الشبيهة بالانسان . وقد ادت مباحث الدكتور بلغرم احد مديري مصلحة المساحة الجيولوجية ببلاد الهند الى معرفة عشرة انواع من هذه القردة كانت تعيش في ادغال جلايا في اواسط عصر البليوسين واواخره . ثم عرف الباحثون ثلاثة انواع اخرى من هذه القردة كانت تعيش في ادغال اوربا . ولسوء الحظ لم نجد حتى الآن سوى الاجزاء الصلدة من هياكلها العظمية كالاسنان والفكوك . أفي هذه الآثار ما يدل على ان هيكل الانسان نشأ منها ؟ لا نستطيع الحكم في هذا الموضوع حتى يتاح لاحد الباحثين العثور

على عظمة ذراع او فخذ او جمجمة . ومع ذلك لا يستطيع الباحث ان يقارن اسنان هذه القردة الشبيهة بالانسان باسنان الانسان القديم كما فعل الاستاذ وليم غرغوري الاّ ويعتقد ان اسنان القردة التي كانت تقطن الادغال في عصر الميوسين هي الاصول التي نشأت منها اسنان الانسان

ومن البحث النقب في طبقات جيولوجية اقدم من طبقات عصر الميوسين للبحث عن اصل الانسان . ففي هذه الطبقات لن نجد سوى آثار نشوء القردة الشبيهة بالانسان . فكل الادلة المتجمعة لدينا الآن تؤيد رأي لامارك وداروين بان الانسان ارتقى من اصل قردي شبيه بالانسان لا يعلو في رتبته الحيوانية عن الشمبانزي وان التاريخ الذي انفصل فيه أصل الانسان عن الاصل القردي الشبيه بالانسان قريب من فاتحة عصر الميوسين . أي ان اصل الانسان يرجع الى نحو مليون سنة على اوسط تعديل

على ان بحثنا الجيولوجي الذي اوجزت وصفه كل الايجاز فيما تقدم لم يمكننا بعد من الحصول على الدليل القاطع على ان الانسان نشأ من اصل قردي شبيه بالانسان لاننا لم نعثر بعد على أثر انسان في طور الانتقال بين اصل قردي شبيه بالانسان الى شكل انساني . فكيف نجد كل العلماء ناصين الانسان المعاصرين متفقين على الاعتقاد بان الانسان في اثناء نشوئه مرّ بدور كان يمتّ فيه بصلة الى القردة . ان هؤلاء العلماء غير غنيّ عن الفروق الكبيرة بين الانسان والقردة في التركيب والمظهر والتصرف . فلا بدّ اذاً من الالمام بمصادر هذا الاعتقاد

في اوائل هذا القرن كشف الاستاذ تُل احد اساتذة جامعة كمبردج طريقة دقيقة يصح الاعتماد عليها لمعرفة صلة نوع من انواع الاحياء بغيره ، وتلك الطريقة مبنية على مقارنة الفعل الذي تحدثه بعض المواد الكيماوية التي ترسب كريات الدم الحمراء في دم النوعين اللذين تراد معرفة صلتهما . وقد ثبت له ان فعل هذه المواد في دم الانسان ودم القردة الشبيهة بالانسان واحد من هذا القبيل . وان فعل دم القردة الشبيهة بالانسان دون غيرها من البريماتس شبيه بفعل دم الانسان في ذلك

وقد ثبت للعلماء البكتريولوجيا ان في اجسام القردة الشبيهة بالانسان استعداداً للعدوى كاستعداد جسم الانسان ولها تتصرف تحت تأثيرها تصرفه . ووجوه الشبه بين دماغ الانسان ودماغ القردة الشبيهة بالانسان في التركيب والنظام بالغة درجة تمكن علماء الطب والفسيولوجيا من تجربة التجارب في الواحد وتطبيق نتائجها على الآخر .

لامارك

مفتطف دسمبر ١٩٠٧

امام الصفحة ٤١٠

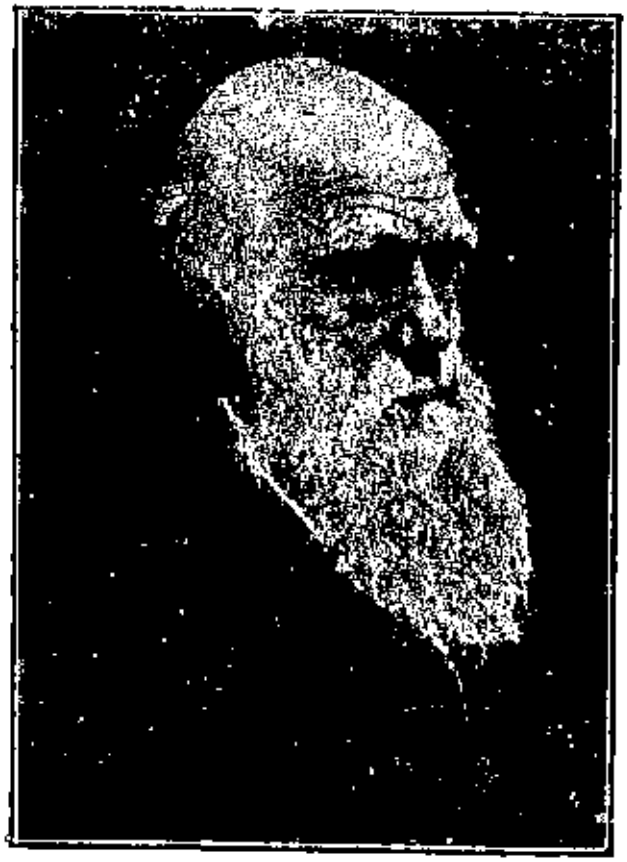

دارون

والأدلة المستخرجة من علم الاجنة ليس أقل غرابة ولا أضعف دلالة مما تقدم. فكيف نستطيع تعليل هذا المشابهات الا بفرض اصل واحد للنوعين؟

وبين الفصول التي كتبها دارون في كتابه « تسلسل الانسان » لا نجد فصولاً ادق مقاماً وابعد أثراً من فصوله التي حاول أن يتتبع فيها نشوء دماغ الانسان ووصف الاعمال التي يقوم بها؟ فما هو مقام هذه الفصول الآن ازاء البحث العلمي الحديث؟

لم يكن دارون عالماً من علماء التشريح ولذلك قبل قول هكسلي بان كل جزء في دماغ الانسان له ما يقابله في دماغ القرد. فقد كان هكسلي يرى ان دماغ الانسان ليس سوى طبعة منقحة لدماغ القرد زيد عليها بعض الحواشي. وان دماغ القرد كان كذلك طبعة منقحة لدماغ نوع من البرمايتس أقدم من القردة وابسط تركيباً. ولقد قام الوف من علماء التشريح والفسيولوجيا بمقابلة دماغ القرد بدماغ الانسان فابدوا رأيهم. ومنذ اشهر فقط لخص الاستاذ اليوت سمث موقف العلماء في هذا الموضوع فقال « اننا لا نجد تكويناً ما في دماغ القرد ولا نجده في دماغ الانسان. كذلك لا نجد في دماغ الانسان تكويناً يتعذر وجود مقدماته في دماغ الغورلا أو الشمبانزي. فالميزة التي يمتاز بها دماغ الانسان على دماغ القردة العالية هي ميزة مقدار لا ميزة نوع ». فالفرق بين دماغ القرد ودماغ الانسان اذاً هو فرق كمي لا فرق نوعي. ومع ذلك فان خطورة هذا الفرق كبيرة جداً اذ في دماغ القردة الشبيهة بالانسان نجد اصول الاجزاء التي نمت وكبرت في دماغ الانسان. والانسان لم يحصل على قوى الفكر والفهم والادراك والذاكرة والنطق والتعلم الا من نمو هذه المراكز وارتقائها

على ان دارون اقبل على المسألة اقبال عالم بيكولوجي لا اقبال عالم من علماء التشريح وبعد ما قضى سنيناً عديدة في الملاحظة الدقيقة والبحث والمقارنة أقنع ان الفروق بين عقل الانسان وعقل القرد على كبرها هي فروق كم لا فروق نوع. وقد اثبتت المباحث الدقيقة التي قام بها علماء البيكولوجيا بعده ما حقق رآراءه وزادها توسعاً. فالادلة التي جمعها علماء التشريح وعلماء تكون الاجنة وعلماء الفسيولوجيا وعلماء البيكولوجيا تثبت كلها ان دماغ الانسان نشأ من دماغ قرد شبيه بالانسان وانه في اثناء هذا المنشوء لم يتكون شيء جديد فيه ولا اضيفت اليه مقدرة جديدة أو غريبة عن دماغ القرد

الحبشة تستيقظ

ان رسل العمران الاوربي يطرقون الابواب على بلاد الحبشة كما طرقوها من قبل على الصين واليابان وغيرها . فايطاليا تطلب امتيازاً بانشاء سكة حديدية فيها وقد زار الدوق ابروتزي عاصمة الحبشة لهذا الغرض . وبريطانيا تطلب امتيازاً بانشاء سدّ على بحيرة صانا لتحكم في الماء الذي يجري منها الى النيل الازرق لاغراض الريّ في مصر والسودان. وجمعية الامم تطلب منّ حكومتها — والحبشة عضو في جمعية الامم — ان تضع حدًّا لتجارة الرقيق فيها. وقد اهتزت الاندية السياسية والمالية في القاهرة ولندن في اوائل نوفمبر الماضي حين اذيع نبأ اتفاق الحبشة مع شركة اميركية على بناء السدّ الذي يطلب البريطانيون امتياز بنائه . فرأينا ان ننشر في المقتطف خلاصة مقالة في هذا الموضوع نشرت في مجلة « عمل العالم » لعضو من اعضاء الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز . وقد قدمنا لخلاصة مقالته مقدمة وجيزة في جغرافية الحبشة ونشرنا خريطتها وفيها يستدل على موقع العاصمة اديس ابابا وبحيرة صانا وكيف ينبع النيل الازرق منها واين يسيل في تلك البلاد الى ان يصل الى بلاد السودان

١ — لمحة جغرافية

بلاد الحبشة الى الجنوب الشرقي من السودان المصري كما ترى في الخريطة المقابلة مساحتها نحو ٣٥٠٠٠٠ ميل مربع اي انها اوسع من فرنسا وايطاليا معاً ولكن عدد سكانها قليل لايزيد على اثنى عشر مليوناً ويقدره بعض الباحثين بعشرة ملايين فقط . وهي مملكة صغيرة ولذلك يلقب صاحبها امبراطوراً وفي لسانهم لفوس نسقي (نجاشي النجاشين) وتفصل البلاد عن البحر الآن مستعمرات دول الاستعمار الكبرى انكلترا وفرنسا وايطاليا . وواضح ان هذه المستعمرات حديثة لم يكن منها شيء في اوائل القرن الماضي . وفي البلاد جبال شاهقة يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠٠ قدم وبجود واسعة في انحائها الشرقية والجنوبية تتخللها انهار كبيرة يجري بعضها جنوباً الى البلاد الصومال [1] وبعضها غرباً الى السودان المصري ومنها نهر القاش ونهر الاتبرا والبحر الازرق احد فرعي النيل وعليه يتوقف الفيضان

(١) يقال ان كلمة الصومال عربية محرفة واصلها الشمال لانها على شمال من يدخل البحر الاحمر كما ان اليمن على يمينه

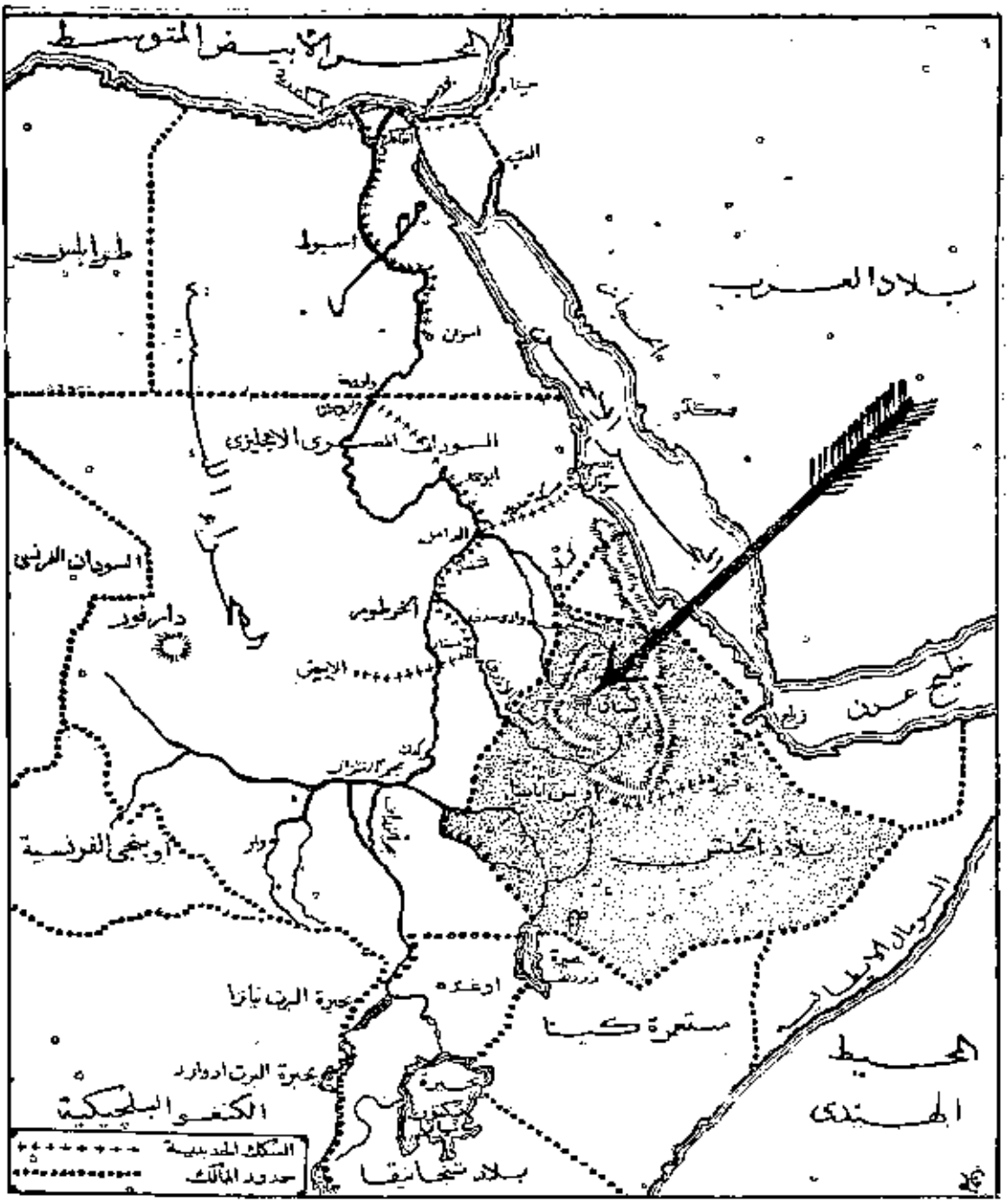

خريطة بلاد الحبشة والبلاد المجاورة لها

مقتطف دسمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٤١٢

ومبدؤه بحيرة صانا في الجانب الجنوبي الغربي من بلاد الحبشة . وهذه البحيرة كبيرة جداً مساحتها ١١٠٠ ميل مربع وعمقها في بعض جهاتها ٢٥٠ قدماً فهي اوسع من مديريتي القليوبية والمنوفية معاً

واقليم الحبشة حارٌ رطب في السهول معتدل في النجود بارد جاف في الجبال قلما ترتفع درجة الحرارة في نجودها على ٨٠ درجة بميزان فارنهيت . وقد نشر بروس ارصاده الجوية فيها سنة ١٧٧٠ في كتابه المطبوع سنة ١٧٩٠ فكان اعلى درجات الحرارة ٩١ وذلك في ١٢ ابريل عند الظهر واخفضها ٣٢ وذلك في ١٤ يناير الساعة السادسة صباحاً . واعلى درجات الحرارة في السنة كلها بين الستين والثمانين فاقليمها معتدل كاقليم سورية وهي مثل لبنان وسواحله يرتقي فيها الانسان في بضع ساعات من اقليم حار بكل مميزاته الى اقليم بارد بكل مميزاته

والسنة هناك ثلاثة فصول فصل الشتاء من اكتوبر الى فبراير وهو اشد الفصول برداً ويتبعه فصل حار جاف ثم فصل للمطر من يونيو الى اكتوبر . ويشتد وقوع المطر في يوليو واغسطس وقد يدوم الى اواسط سبتمبر او اواخره . والغالب انهُ لا يمر شهر من غير ان يقع فيه مطر . اما فصل المطر الحقيقي فمن يونيو الى اواسط سبتمبر وعلى هذا المطر يتوقف فيضان النيل وفلاح مصر . فتكون بلاد الحبشة اعلق البلدان كلها بالقطر المصري فاذا استطاعت ان تحول جانباً من انهارها الى ري أراضيها فقد تضر بالقطر المصري ضرراً كبيراً

اما نباتات البلاد وحيواناتها فمماثلة لما في المناطق الحارة والمعتدلة والباردة حسب كونها في السهول أو النجود أو الجبال . ففيها البن وقصب السكر والموز والبان والقطن والنيل والسنط والزيتون والجميز والزنجبيل والغار والتين والبرتقال والليمون والرمان والمشمش والخوخ والصنوبر . وفيها من الحيوانات الخيل والحمير والبغال والكركيون وفرس النهر والتمساح والغنم والبقر والمعزى والاسد والنمر والضبع والذئب

٢ — خلاصة مقالة المستر راي

تاريخ الحبشة مزيج من الحقائق والاساطير والتقليد وهو مستغرق في القدم وقد دفع اليَّ الرأس تفري ماكونن ولي عهد المملكة بقائمة تحتوي على اسماء ٣١٢ ملكا حكموا ٩٣٠٠ سنة على ما يقولون ومعنى هذا ان اول ملك على الحبشة حكم في سنة ٤٥٣٠ قبل الميلاد أو في السنة السابعة والتسعين للخليقة حسب معتقداتهم وفي جملة هؤلاء

الملوك سليمان ملك اسرائيل وملكة سبأ ومنها ولد منليك جد البيت الحاكم اليوم فكأنما يمتد حكم هذا البيت الى ٣٠٠٠ سنة وهو امر منقطع النظير

وقد كانت الامبراطورية الحبشية في العصور الغابرة تنبسط على شاطئي البحر الاحمر وتشمل على الساحل الافريقي البلاد الممتدة من سواكن الى رأس غردفوى على الاتل وكانت اساطيلها تجوب البحار الى الهند وفارس وربما سخرت فيها الى ما هو ابعد منها وتوافيها التي تثقل بضائعها او تجلب اليها بضائع البلدان الاخرى تقطع مئات الوف الاميال خارج حدودها. ومما ينبئ بما كان لتلك الامبراطورية القديمة من عظمة ان احد امبراطرة الرومان من ١٦٠٠ سنة ارسل الى الاحباش يسألهم النجدة وقد وجه كتابه في ذلك الحين الى « امراء الحبشة المسيحية »

وقد آوت الحبشة اقرباء النبي محمد وحالفت منذ ٥٠٠ سنة مع البرتغاليين على الترك والعرب والصوماليين الذين استعبدوها ولكنها صارت بعد ذلك طعمة لنيران الحروب الاهلية واغارت عليها قبائل الجلا من الجنوب فانشطرت الى مملكتين منفصلتين وظلت هكذا الى ان وحدها الامبراطور تاوضروس ثم جاء الامبراطور منليك فاعاد تأسيس الامبراطورية الاثيوبية القديمة ووطد دعائمها اذ وسع حدودها موقضى على جميع الملوك الطامعين بها ودوخ اراضي الجلا وهزم دولة اوربية في حرب طاحنة وها نحن أولاء نرى الحبشة اليوم عضواً في جمعية الامم وان كانت قد فقدت كل اتصال لها بالبحار واصبحت سواحلها مملوكة للاجانب

والحبشة بلاد واسعة تتألف من سهلين مترامين يفصلهما الواحد عن الآخر واد عظيم يقال له وادي رفت وعلى حدودها صحار كبيرة وجبال شاهقة كأنها المعاقل

ويقدر عدد سكانها بين ٨ ملايين الى ١٣ مليوناً وهم خليط من اجناس كثيرة فمنهم الأحباش والجلا والشنكلا والصومال والجوراج والدناكل وسواهم ويتكلمون ٧٠ لغة مختلفة اهمها اللغة الامهرية وهي اللغة الرسمية وحروف هجائها ٢٥١ حرفاً

ويعيش احباش اليوم كما كان اجدادهم يعيشون منذ ٢٠٠٠ سنة فيفكرون كما كانوا يفكرون ويسكنون جيماً — اذا استثنينا سراتهم — اكواخاً مبنية بالطين او الحجارة وترى عاصمتهم نفسها ادبس ابابا « ومعناها الزهرة اليانعة » وقد اسسها منليك عقب انتصاره على ايطاليا سنة ١٨٩٦ غاصة بالوف الاكواخ وليس فيها من المباني الحديثة الا جانب يسير ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠٠ نسمة

وقد اعتنق الاحباش النصرانية قبلما اعتنقها نحن(يقصد قومه الاميركيين)ولذلك قصة تشبه أن تكون خرافية تحدثنا عن شابين من اتباع عقيدة الطبيعة الواحدة (وهي التي يعتنقونها اليوم) حطمت سفينتهما على شاطئها فهديا سكانها الى المسيحية

ولا يزال الاحباش الذين هم أكثر من ثلث السكان يرتدون اللباس القديم المؤلف من قميص من القطن وسراويل « وشامة » وهي ملحفة يلتحفون بها في النهار ويستعملونها شرشفاً لفراش النوم في الليل وهو لباس الرجال والنساء معاً من جميع الطبقات ولهم في امر الشامة عادة غريبة فاذا التقى لابسها برجل آخر وسدل هذه الشامة على وجهه فمعنى هذا انهُ اراد احتقارهُ واما خلع الشامة عن الكتفين ولفها حول الخصر فهو عندهم غاية الاحترام

ومحاكم القضاء عندهم ارتجالية فيجوز ان يدعى أي عابر سبيل كان فيجلس للحكم وترى هذه المحاكم قائمة في زوايا الشوارع تصدر احكامها من غير حاجة الى بلاغة المرافعات او الى اضاعة الوقت في سماع المناقشات وتطبق الشريعة الموسوية في الجرائم الخطيرة. وكان من المناظر المألوفة الى عهد قريب ان يرى المرء في سوق البلدة اشخاصاً معلقين في المشانق او في جذوع الاشجار . اما اليوم فعدم القاتل في داخل كوخ صغير وطريقة اعدامهُ هي ان يطلق اولياء الدم رصاص بنادقهم عليهِ

ومن العادات في الحبشة ان يأدب البلاط الامبراطوري من حين الى حين مأدبة رسمية يدعو اليها جميع من في العاصمة من الضباط والجنود والموظفين والخدم والعبيد يأكلون فيها اللحم نيئاً فيجلس ١٥ الفاً او اكثر القرفصاء امام موائد ويطوف عليهم الخدم والجزارون بقطع كبيرة من اللحم فيأخذ منها كل منهم ما شاء . وقد شهدت انا وزوجتي وليمة من هذه الولائم حضرتها الامبراطورة وقد ضرب دونها ستار من الحرير الاخضر وجلسنا ولي العهد والرؤوس على منصة قريبة منا وجيء باللحم النيء فوزع على الوف المدعوين على النحو المتقدم وقد قيل لي ان ما ذبح لهذه الوليمة كان ٤٠٠ ثور وهذه عادة باقية من آثار العهد الاقطاعي

ومن بقايا ذلك العهد ايضاً ان كل خادم او عامل يلتزم بان يتبرع لسيده بشغل عدة ايام في كل سنة بالمجان فيحرث لهُ ارضهُ او يقطع لهُ الحشيش او يمهد الطرق او ما شابه ذلك

ويحدث احياناً ان تلزم الامبراطورة على تأدية واجب العبادة في كنيسة بعيدة

فلاجل تمهيد الطريق الى هذه الكنيسة يأتي ولي العهد ويضع يده حجراً في اول الطريق ويحذو الرؤوس وكبار الموظفين حذوه وحينئذٍ يتبرع الوف من الناس فيمهدونها

وليس في الحبشة مقاول ولا معامل للنسج بل ان القطن لا يزال يغزل باليد كما كان يغزل في العصور الماضية ومحاريث الزراعة هناك من الخشب تكاد لا تشق الا سطح الارض والموتى يدفنون كيفما اتفق في مقابر هي في الوقت عينه طرق للسابلة فاذا جنّ الليل نزلت الضباع عليها ونبشت عن الجثث

هذه صورة للقديم ترى الى جانبها صورة للجديد اذ تجد طرقاً تمهد للسيارات التي يبلغ عددها نحو المائتين في اديس ابابا وتسمع نقرات آلات الخياطة في بعض الحوانيت وفي وسعك ان تتناول في بيت ولي العهد طعاماً طُهي على النمط الاوروبي المتقن

وليس في كل تلك البلاد الواسعة من خطوط المواصلات غير خط حديدي واحد (غير مزدوج) يصل اديس ابابا بثغر جيبوتي ميناء الصومال الفرنسي والمسافة بينهما ٥٠٠ ميل ولا تسير القطارات على هذا الخط الا نهاراً واذا نزل السيل عطلهُ أما الطرق الزراعية فهي عبارة عن دروب للقوافل

ولا يجوز لاجنبي ان يسافر في داخلية البلاد من غير رخصة رسمية على ان الاهلين يعطفون على الاجانب وقد حدث مرة لزوجتي ان كسرت ذراعها ونحن نطوف في ارجاء مملكة توجام واضطررنا ان نسير بها مسافات محمولة على سرير من الشبك يشبه الارجوحة فكنا كلما مررنا بقوم ووقفوا على جلية الخبر تقدم نفر منهم لحمل السرير مسافة غير قليلة والحوا في ذلك

واهل الحبشة اميّون ليس بينهم من يعرف القراءة والكتابة اذا استثنينا رجال الاكليروس وموظفي الحكومة في اديس ابابا

وتتألف الطبقة الحاكمة هناك من الامبراطورة وولي العهد والرؤوس وحكام المقاطعات او الممالك ولكن اعظمهم كفاءة ومقدرة ولي العهد وهو شاب في الخامسة والثلاثين يعمل يومياً في مكتبه من السابعة صباحاً الى العاشرة مساءً مكبّاً على انكار مشروعات الاصلاح للحكومية وانشاء المعاهد الحديثة . غير ان في البلاد قوى عظيمة تقف في وجه مشروعاته لرغبتها في بقاء القديم على قدمه واخصها رجال الكنيسة

اما رؤوس الاحباش فعلى جانب عظيم من الغنى وبسطة النفوذ وحكام المقاطعات مستقلون تقريباً في مقاطعاتهم وهم لا يتناولون راتباً بل لهم سلطة فرض ضرائب على

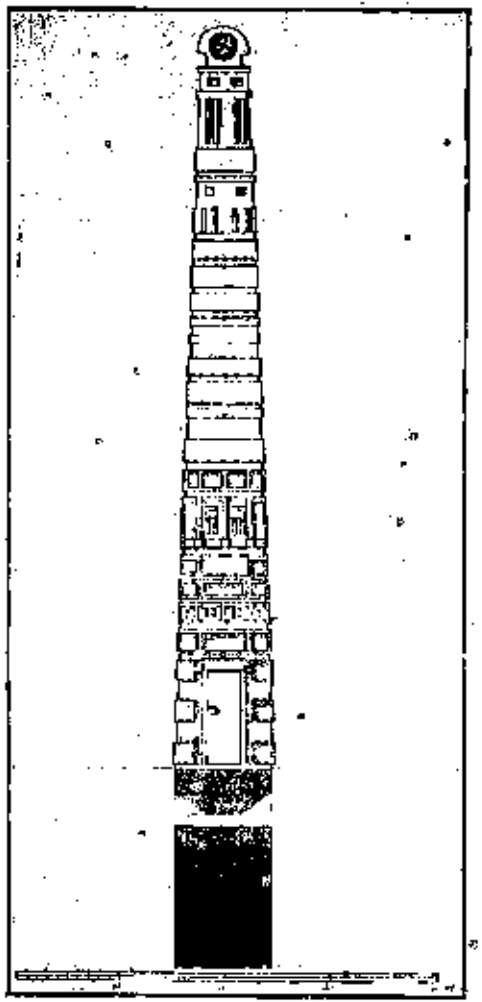

مسلة من الرانيت وجدت في اكسوم

A TABLE OF *HIEROGLYPHICS*, FOUND AT AXUM 1771.

لوح عليه كتابة هيروغليفية وجد في اكسوم ببلاد الحبشة

مقتطف دسمبر ١٩٢٧
امام الصفحة ٤١٧

الاهلين يجمعونها لانفسهم ويرسلون منها جانباً الى الحكومة المركزية ويمكن ان يقال ان نفوذ هذه الحكومة لا يتجاوز اطراف اديس ابابا

وكذلك قل عن الكنيسة الحبشية فانها قوة ذات نفوذ وثروة وفي حيازتها ربع اراضي البلاد وقد امتلكته منذ القرن الثالث عشر ورئيسها يقال له (ابونا) وهو قبطي يعينه بطريرك الاسكندرية القبطي وقد اثارت وفاته في سبتمبر الماضي خلافاً مداره هل تستمر البلاد على العادة القديمة فتختار مطراناً من القبط او تنصب لها مطراناً حبشيًا وكانت الثانية في جانب الرأي الاول كما هي العادة في سائر الامور

وتجارة الحبشة لا تذكر في جانب ما يجب ان تكون عليه في بلاد غنية كهذه وقد لا تزيد على مليوني جنيه في السنة والعملة من عوائق نمو التجارة فانهم هناك لا يتعاملون الا بريال ماريا تريزا الفضي واذا اراد تاجر ان يبتاع محصولاً من الاهلين فعليه ان يبتاع كمية من هذه الريالات لدفعها ثمناً للمحصول ولا تخلو عمليات شراء العملة من خسارة قد تذهب بربح التجارة

ومما اذكره للاحباش انهم شعب فخور أشم انفس فتراه يتيه فخراً ببلاده وتاريخه وديانته وانتصاراته الحربية ولكن يعيبهم انهم شديدو الريبة بعضهم ببعض فولي العهد مثلا يرى نفسه مكرهاً على ان يؤدي بنفسه اعمالاً هي من اختصاص صغار مرؤوسيه لانه لا يعتقد بوجود الرجل الامين الذي يكل اليه عملاً من هذه الاعمال ولولا ذلك لتفرغ للمشكلات الهامة التي تصادفها بلاده واهمها تنمية مواردها وتعظيم حكومتها ومعالجة الاضطرابات التي تقع على حدودها ومسألة بحيرة صانا والمصالح الايطالية والرقيق وجمعية الامم

ولا يتسع المقام للكلام باسهاب عن كل من هذه المشكلات فاذكر منها مشكلة الامتياز الذي تطلبه بريطانيا العظمى في بحيرة صانا بالشاء خزان عليها لري حقول القطن في السودان ومصر ومما يحسن ذكره هنا ان الزراع والتجار في مملكة قوجام يؤيدون مشروع هذا الخزان كل التأييد لانهم يعتقدون انهم ينتفعون به ولكن رجال الحكومة في اديس ابابا يرتابون في نيات انكلترا والكنيسة تعارض فيه بدعوى ان مياه النيل الازرق مقدسة لا يجوز التعرض لها !

ثم ان ايطاليا تطلب امتيازاً بمد خط حديدي وتطلب دول اخرى امتيازات تجارية وهلم جرًّا

ومما لا يقل عن كل ذلك شأناً مشكلة الرقيق وهي مشكلة عسيرة الحل في بلاد اعتاد اهلها اقتناء العبيد . نعم ان العبيد في الاسر الحبشية يعاملون معاملة حسنة جداً ويعتبرون كاعضاء في الاسرة ومتى تحرروا وقعوا فريسة البؤس والفاقة ولكن الدول الاوربية تعدهم رقيقاً وقد اصدر الرأس تفري مرسوماً يقضي بان ابن العبد يولد حراً واصدر مرسوماً آخر يقضي باعدام من يضبط متجراً بالرقيق فالرجل يعمل باخلاص في مكافحة هذه التجارة لولا العوائق الاجتماعية التي يصادفها من قومه

٣ — الحكومة المصرية وبحيرة صانا

وقد اوفدت الحكومة المصرية الدكتور غرافام الجيولوجي والمستر بلاك العالم الطبيعي من بضع سنوات للبحث عما يمكن ان يعمل للتحكم بماء بحيرة صانا حتى يبقى فيها جانب منهُ من زمن الفيضان الى زمن التحاريق فحتا ٣٤ شهراً اي في مدة ثلاثة فيضانات فوجدا الامور الآتية

اولاً ان هذه البحيرة تكونت في عصر جيولوجي حديث من توران بركاني وقعت حممهُ في وادٍ فسدَّتهُ حيث وقعت فصار ما فوق السد بحيرة

ثانياً ان مساحة سطح البحيرة ٣٠٦٠ كيلومتراً مربعاً كان طولها ٥٥ كيلو متراً وعرضها كذلك

ثالثاً انهُ يتبخَّر من مائها ما سمكهُ مليمتر ونصف في اليوم في شهر اغسطس ثم يزيد التبخر رويداً رويداً حتى يبلغ ستة ملينترات في اليوم في ابريل وفي السنة كلها ١٤٨٠ مليمتراً او نحو متر ونصف

رابعاً ان ما يجري منها من الماء في الثانية من الزمان يكون على اقله في آخر فصل الجفاف وهو حينئذٍ ١٠ امتار مكعبة في الثانية من الزمان ثم يزيد حتى يبلغ ٥٠٠ متر مكعب في الثانية حينما يكون الماء في البحيرة على اعلاهُ وذلك في سبتمبر

وهذا المقدار اقل من جزء من خمسين جزءاً من الماء الذي يجري في النيل في اصوان زمن الفيضان فلهذه البحيرة شأن قليل في فيضان النيل ولكن اذا اقيم لها سد عند مخرج البحر الازرق منها حتى يسهل التحكم بالماء الذي يجري منها الى النيل كان منها نفع كبير وقت التحاريق لانهُ يمكن ان يخزن فيها حينئذٍ ٣٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء . وبناء هذا السد يقتضي نحو مليونين ونصف من الجنيهات واذا اريد اصلاح الطريق من النيل اليها اقتضى ذلك نفقات اخرى

التباين الخلقي

المؤثرات الباطنية الموروثة والمؤثرات الطارئة

اوضحنا في مقالنا السابق ان في الجسم البشري مستودعين اشبه الاشياء بالدينامو تكمن فيهما قوتان كهربائيتان هما قوة النشاط وقوة الشعور والاحساس واليهما يرجع على الراجح التباين الخلقي

ونزيد على ذلك الآن بانهُ على ما يكون لدى الفرد من الكترونات احدى هاتين القوتين يبدو منهُ استعداد خاص الى ترسم خطط معينة في المستقبل يجنح اليها عند دخوله في سن الشباب باساليب متنوعة مختلفة لا تخفى على الفاحصين بتربيته والمخالطين لهُ وتزداد جلاء وبياناً كلما اكتملت لديهِ قوة التمييز والادراك . وينفرد بهذه الميول دون اخوتهِ أو اقاربهِ أو جيرانهِ او قرائنهِ بحيث تكاد لا تجد واحداً منهم يحاكيهِ في قوة اندفاعهِ اليها . وكما ترى تبايناً كبيراً في هذه الميول ترى تبايناً أوضح واجلى في قوى النفس على اختلافها كالنشاط والشعور والذكاء. ترى انساناً متفوقاً في النشاط مثلاً ولكنهُ دون الآخر في الشعور أو دونه في الذكاء او دونهُ في الميل الى الخير او في اقتحام المخاطر او في المروءات او الهمم. وترى آخر يجهد نفسه ويتلذذ بالشقاء والعناء ليريح الآخرين وينيلهم ما بهِ يتهنون وينعمون . وكما نشاهد تفاوتاً كبيراً بين أعضاء الاجسام المختلفة في قواها ومدى وظائفها فيتفوق قرد ببصره الحاد او بعضله القوي وآخر بجهازه الهضمي وآخر بقوة قلبهِ أو سمعه أو شمه الى ما لا يمد ولا يحصى، كذلك نرى ان القوى العقلية الكامنة التي نسميها بالمدارك غير متساوية بين الناس فهذا يمتاز بقوة الفكر وهذا وان كان دونهُ فيهِ الا انهُ يفوقهُ في قوة الذاكرة او قوة التصور او قوة الابداع او الاكتشاف او قوة الارادة او تألق الذكاء وهكذا الى ما لا نهاية لهُ من هذا التفاوت المتأثر بحكم كيان الالكترونات المتوارثة عن الآباء والامهات

اختلاف الفلاسفة

ولقد كانت هذه المشاهدات علة انشقاق الاخلاقيين في ارجاع تباين الخلق في سجاياهم واخلاقهم الى اسبابها الاولى : فذهب بعضهم وعلى رأسهم الفيلسوف الشهير شوبنهاور Schopenhauer على ان الاخلاق في الانسان فطرية موروثة ولانها كذلك فهي لا تتغير ولا تتحول بل تثبت فيهِ وفي نفسهِ ثبوتاً راسخاً لا يتزعزع

لدخولها ضمن ذرات جسمهِ المتوارثة وان ما يبدو لاعيننا فيها من التبديل والتحويل هو عرضي طائش عابر لا جذور لهُ ولا يقوى ثباتاً أمام الغرائز الفطرية المستكنة في النفس ، وهي التي فضلا عن كونها ترسم لصاحبها خطط الحياة فانها تقودهُ الى ما يراهُ حسناً وخليقاً بهِ مهما اثار سخط الناس او غضبهم أو كان بعيداً عن ذوقهم او استحساناتهم أو كان على العكس منطبقاً عليها . واضاف شوبنهاور بان قال قوله المشهور « كل امرئ يسير بطبيعتهِ الذاتية الثابتة التي لا تتحور وأن مابهِ من طبائع وغرائز كامن في نفسهِ كوناً راسخاً لا يتحول »

وذهب آخرون على النقيض من المتقدمين وقالوا ان لا أثر في فطرة الانسان ولا في طبيعتهِ من الاخلاق والغرائز وان كل نفس بشرية تولد طاهرة خالية منها بتاتاً ثم تطرأ عليهِ بحكم البيئة والوسط ومختلف تعاليم التي يتلقاها طوارىء ، جميلة كانت أو ذميمة . سامية أو سافلة . فاضلة اوشريرة

نادى بهذا المذهب فلاسفة الاخلاق في القرن الثامن عشر أمثال هيلفيسيوس Helvétius وروسو Rousseau . وستيوارت ميل Stuart Mill وجميع من تأثر بفضل التربية في تقويم النفس وتهذيبها وقالوا بان ما نشاهدهُ من دلائل الرقي والتكمل الخلقي ليست لهُ أسباب وراثية مطلقاً وانها كلها اكتسابية طارئة بعد الولادة

واضاف على ما تقدم الفيلسوف بايوه Payot ان الطبيعة لا تكوّن من عندياتها أخلاقاً ولا غرائز بل ما قد يكوّن بها منها فانهُ طارئ عليها بعد الولادة بطرأ تدريجيًّا وبطء واضح بحسب تدرج المرء وتقدمهِ في السن وعليهِ يتعذر اعتبارها فطرية متوارثة »

هذا ومع احترامي التام لرأي كل فريق من هذين الفريقين فاني اجد كلاً منهما متطرفاً فيما ذهب اليهِ فان الاولين وان كان لهم الحق في الذهاب الى توارث الغرائز فانهم غضوا النظر عن امر جوهري اصبح عماد الحضارة الراهنة في تمدن الاجناس البشرية برمتها هو التربية والتعليم وفضلها في التهذيب والتمدن لا يحتاج الى تبيان . واجد الفريق الثاني وان كان محقًّا بارجاع الفضل في تهذيب الاخلاق الى التربية فقد انكر شيئاً ظاهراً لكل عين مدققة وهو توارث بالتكثير من الغرائز عن الاجداد والآباء توارثاً طبع اصحابها بطوابع خاصة يمتازون بها عن باقي الافراد سواء كانوا من العائلة نفسها او من البعيدين عنها

وليسمح لنا الفريقان في التدليل على رأينا هذا

تطرف الفيلسوف شوبنهاور

اغمض الفيلسوف شوبنهاور عينه عن مؤثرات التربية الفاضلة في تكوين الكمالات في النفس البشرية ووقف جامداً عند مبدأ التوارث الخلقي عن الامهات . وابي اسوق للدلالة على هذا التطرف مثلاً تاريخيًّا مشهوراً اخترتهُ لوقوعهِ في البلاد الغربية نفسها التي ولد فيها ذلك الحكيم الاخلاقي الشهير . وعندنا في الشرق امثلة كثيرة لا تحصى وكلها دلت على قابلية النفس البشرية للتطور والتأثر كلما وجدت لها مرشداً من التربية الحقة الى سبيلها القويم . واقصد بالتربية الحقة التربية الجسدية والعقلية والخلقية التي لاعتقادي التام في فضل تأثيرها في النفس ارجو ان تنهض حكومتنا المصرية ومختلف هيآتنا الدينية والعلمية والنيابية لجعلها الاساس الذي تقيم عليهِ صرح نهضتنا القومية جاعلين بهذا عصرنا الراهن عصر إحياء وتجديد وبناء لنال النعيم المرجو والمركز المحترم اللائقَ بتاريخنا بين باقي الامم

الحكيم فنيلون

في عصر لويس الرابع عشر ملك فرنسا كان الدوق دو بورجوني Le Duc de Bourgogne ناشئاً على طبائع شكسة وغرائز شريرة واخلاق دنيئة وكان متعطرساً مختالاً صلفاً شامخاً جباراً عنوداً فاخافت هذه الغرائز القبيحة الهمجية الملك فاراد تهذيبها فعهد الى ذلك المربي الحكيم الشهير بالتقوى ويمضاء العزيمة وتألق الذكاء فينيلون Fenelon (١) فتولى تربيتهُ فاجمع الناس في تلك الايام على نجم فشله في تقويم اخلاق نافلةٍ منحطة انحطاطاً مريعاً كاخلاق الدوق دوبورجوني ولكن ذلك الفيلسوف الذي كان يعرف ما للتربية من القوة الفعالة في

(١) ولد فنيلون سنة ١٦٥١ من اسرة فرنسية عريقة في الشرف وكان في طفولته ضعيف البنية فتلقى مبادىء العلوم في البيت ثم قضى بضع سنوات في جامعة كاهور وانتقل سنة ١٦٦٩ الى باريس فدرس في مدرسة سانت سيلبيس اللاهوتية برعاية عمه الركيز انطوان دي فنيلون . وكان ميالاً الى القيام برحلة الى الشرق الادنى فلقي مقاومة من اهله فبقي في مدرسة سانت سيلبيس اللاهوتية الى سنة ١٦٧٩ ثم تقلب في مناصب الرهبنة الى ان عينه الملك لويس الرابع عشر معلماً لدوق برغندي (بورغونيه) وبان معلماً نه ال ان اختلف مع بوسيه على مسائل لاهوتية فالف كتاباً يدفع به عن رأيه ولكن نبأ الجدال انتقل باقي بابا انوسنت الثاني عشر فحكم ليوسيه سنة ١٦٩٩ فعزل فنيلون من بلاط الملك لويس الرابع عشر وقضى باقي حياته في كمبري لم يبرحها الا مرة واحدة

النفس اعتمد على مواهبه الفائقة ومعارفه وعلومه وآدابه وقبل التطوع لهذا العمل الشاق فاتبع في تهذيبه اسلوباً رائقاً تقوده الحكمة والتبصر والمهارة والصبر الى ان تمكن من شعور الشاب وعواطفه وقلبه فأثر فيها التأثير الباهر المحمود الذي نقله من حال الى حال ومن طبيعة الى طبيعة وبعد ان نفره من خشونة اللفظ وهمجية الغرائز استدناه الى التواضع والمعاملة بالحسنى وما تنجذب اليه النفس من الكمالات والفضائل ومحبة الخير والتقوى وخشية الله في السر والعلانية . فكان كلما استأصل منه عيباً أحاضه بدلاً منه فضيلة . وكان من اسباب التهذيب والتربية التي اعتصم بها انه الف لهذا الشاب كتابين في الآداب هما للآن اشهر من نار على علم يعرفهما المصري والهندي والياباني والاميركي معرفة جميع امم الغرب لانهما ترجما بجميع اللغات ونالا من الناس تقديراً ليس فوقه تقدير لما احتويا عليه من مختلف الكمالات والفضائل مفرغة في قوالب جذابة ضمن قصص منسقة تثير في النفس الاعجاب وتشهيها للاخذ بالمبادىء الفاضلة اهمها الشجاعة والصبر على الاهوال في سبيل الرغائب وبلوغ المآرب واستخدام الحذر والتبصر في عواقب الامور قبل الاقدام عليها . وتعلمها معاني الكرامة الذاتية وقيمة الشرف وحب الحرية والذود عن ذمار الوطن والتزام الرحمة والرأفة بالبؤساء والمرضى والمعوزين وهكذا من امثال هذه المواعظ الذهبية مكتوبة باساليب راقية تهواها وتنجذب اليها نفس كل قارىء . هذان المؤلفان هما تيليماك Télémaque واحاديث الاموات Les dialogues des morts ولم يكتف بهذين المؤلفين بل امده بروايات أدبية اخلاقية اخرى فكان لابد لهذا الاسلوب التهذيبي البديع الذي اتخذه الفيلسوف فينيلون من اثر فضل نافذ في نفس الدوق الشاب فتغيرت اخلاقه وتلطفت طبائعه تلطيفاً باهراً محموداً وتربت نفسه على ان تكون كريمة تجنح الى الاقدام على كل عمل جليل في ذاته نبيل في غاياته مسبوق بالروية والتبصر في اسبابه ومسبباته مقرون بالثبات والمضي فيه الى النهاية . فدهش الناس جميعاً اذ رأوا الدوق غير دوقهم الاول وقد تخلق باخلاق سامية وصفات فاضلة كانت سبب مجده وتقديره وانجذاب الخاص والعام اليه . وعليه فقد أقام الفيلسوف فينيلون بهذه الآية المأثورة اسطع الدلائل على ان طبائع البشر تحاكي بذور النبات فانها تنمو وتجود وتثمر متى صادفت ارضاً خصبة وعناية ورعاية وتربية من يهمه شأنها ويعنى بزرعها وتعهدها

عثمان مرتضى

الاعتدال

بحث ادبي لغوي

دعِ الإفراطَ والتفريطَ فيما تُحاولُ من مقالٍ او فَعالِ
فإنَّ سلامةَ الانسانِ ممَّا يُحاذرهُ تكون بالاعتدالِ

١ — تمهيد

الاعتدال التوسُّط بين حالين في كمٍّ او كيفٍ — بين الطول والقِصَر او بين العلوّ والانخفاض او بين الكثرة والقلّة او بين الشدّة واللين ونحوها من الاضداد. فنقول جسمٌ معتدل أي غير طويل ولا قصير . وماء معتدل اي ليس بارداً ولا حارًّا . ويوم معتدل اي طيّب الهواء خالٍ من نفح القيظ ونفح الزمهرير وقس عليهِ . وكلُّ ما استقام او تناسب فقد اعتدل اي توسّط بين طرفي الإفراط والتفريط غير مجاوزٍ حدَّهُ من جانب الزيادة ولا مقصّرٍ عنهُ من جانب النقصان . والاعتدال في كل شيء سرُّ حفظ الصحة وصفاء العيش ونعيم البال كما قال مونتكي القائد الالماني الشهير

٢ — الاعتدال في الطبيعة

وللاعتدال امثلة كثيرة في احوال الطبيعة ومظاهرها . ففي دوران الارض حول الشمس نشاهد كل سنة اعتدالين يتساوى فيهما الليل والنهار . احدهما في آخر فصل الربيع والآخر في نهاية فصل الخريف . والماء في اعتدال درجة حرارتهِ يكون مائعاً كما نعرفهُ . فاذا اشتدّ ارتفاعها تبخر اي صار بخاراً واذا هبطت درجة حرارتهِ جمد وتحوَّل الى جليد او ثلج . والمعتدل من سطح الارض منهُ الفيطان الفسيحة الارجاء والسهول الواسعة الاطراف التي حوَّلها الانسان الحارث الهمّام الى مزارع خصيبة ومغارس نضيرة وجنان فيحاء مستعيناً على إحيائها واغنائها بشآبيب الامطار او بمياه الغدران والجداول والانهار . ومنهُ المفاوز القاحلة والصحارى المجدبة التي قصرت عن استعمارها يد الانسان فظلَّ حيدها الى الآن عاطلاً من حليّ الحضارة والعمران . وما جاوز من سطح الارض حدّ الاعتدال ناشزاً عنهُ فهو الهضاب والجبال وما انخفض عنهُ فهو الوهاد والاودية

٣ — الاعتدال في احوال الانسان

والانسان وهو ابن الطبيعة يجري ابن هذا القبيل مجرى امّهِ محتذياً لمثالها وناسجاً

على منوالها . فترى هذا سالكاً في ما يعالجهُ ويزاولهُ من شؤونهِ سبيل الاعتدال وذاك مفرطاً أي مجاوزاً الحدّ من جانب الزيادة وذلك مفرّطاً اي مقصّراً عنهُ من جانب النقصان . فالشجاع الملتزم في إقدامهِ حدَّ التعقُّل والرزانة وسطٌ بين من يغامر مستهيناً فينتهي الى الاقتحام والتهوُّر ومن يبالغ في الحذر وإيجاس الخوف فيوجل ويكبو وينحطّ عن الشجاعة الى الجبانة . والمقتصد اي المعتدل في ما ينفقهُ من مالهِ وسطٌ بين المسرف المبذّر والبخيل المقتّر ونعني عليهِ ما بقي من سائر احوال الإنسان كالأكل والعمل والكلام وهو موضوع البحث

٤ — أوجه الكلام ومزية المساواة

ويراد بالكلام في هذه المقالة كلُّ ما يُلقيهِ المحدّث والخطيب والواعظ على السامعين وما ينشرهُ الكاتب والشاعر في صحيفة او مجلّة او كتاب على القرّاء . ولاجتناب تكرار هذه الانواع في اثناء البحث نُطلق الكلام عليها كلّها والمتكلّم على صاحب كلّ نوع منها فنقول :

قد يكون المتكلّم معتدلاً في كلامهِ اي مفرغاً للمعاني التي يروم إيصالها الى ذهن السامع او القارىء في قوالب ألفاظٍ على قدرها لا ناقصة عنها ولا زائدة عليها . وقد يختصر في التعبير عن مرادهِ اختصاراً يشدُّ المعنى بوثاق الغموض والخفاء ويسدُّ عليهِ منافذ الوضوح والجلاء . وقد يُسرف في الإفصاح عما في ضميرهِ إسرافاً يجلو المعنى القليل في ثوب لفظٍ فضفاض ضافي الذيول وكثير الحواشي . فالاعتدال في الكلام وسطٌ بين الاختصار والإطالة . وهذه الامور الثلثة تُعرَف عند أهل المعاني بالمساواة والإيجاز والإطناب

وكثيراً ما تتغنّى بجمال الاعتدال وفائدتهِ في الأكل والعمل والإنفاق وغيرها من أحوالنا وتتناضى عن مزاياهُ في الكلام . ومحاسن المساواة وفوائدها انما تظهر جليّةً لمن المتأمّل عند ما يقابلها بعيوب الإيجاز والإطناب ويضدّها تتميز الاشياء

٥ — المستحسن والمستهجن من الإيجاز

فالاختصار او الإيجاز يظلُّ سالماً من الاعتراض ما دام نقص اللفظ وافياً بالمعنى غير مخلٍّ بهِ سواء كان النقص بتقصير العبارة ام كان بحذف شيء منها — جزء جملة او جملة او اكثر — بشرط سهولة الدلالة على وقوع الحذف وتعيين المحذوف . فكل ما يرد منهُ على هذا الوجه نثراً او شعراً مقبولٌ ومستحسنٌ بل هو دليل علوّ الكعب

ورسوخ القدم في امتلاك ناصية الإنشاء البليغ وإحراز قصب السبق في مضمار البيان

اما المكروه المستهجن من الكلام الموجز فهو ما كان قالب لفظه قصيراً ضيقاً فيجيء المعنى مرصوصاً مضغوطاً وعليه من الغموض والإبهام حجاب أكثف من حجاب المعيشات والأحاجي . ولشدة تناهيه في الخفاء والتعقيد اللفظيّ او المعنويّ يضطرّ السامع او القارىء أن يستكدّ ذهنه ويجشم أشقّ ضروب الإعنات والإرهاق في فكّ ختمه وحلّ عقدته مقلباً في استكناه معناه وجوه التأويل والتفسير التي تتسع امامه مجالها وضارباً في مفاوز الكهن والتخمين لعله يستطيع جلاء غيهب الشك بنور اليقين فيذهب عناؤه باطلاً ولا ينال من مراده طائلاً

هذا هو الإيجاز المخلّ الذي يثقل على اذن السامع ويسمج في عين القارىء . ومنه قول الحرث بن حلزة اليشكري : —

« والعيش خيرٌ في ظلال النـ ـعيم لمن عاش كدّا »

وقول الفرزدق في مدح ابرهيم بن هشام المخزومي : —

« وما مثله في الناس الا مملكاً ابو أمّه حيّ ابوه يقاربه »

وقول العباس بن الاحنف : —

« سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا »

وقول ابي العلاء المعرّي يصف الشوق : —

« طرن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهناً ما لهنّ ومالي »

وقول ابي تمام : —

« كوامنُ الحبّ فيك كونك في أفئدة العاشقين لم تكن »

وقول ابو الطيب المتنبي في مطلع قصيدة : —

« أحادٌ ام سُداسٌ في احادٍ ليبلتنا المنوطة بالتنادي »

وقوله من قصيدة أخرى : —

« فتى الف جزء رأيهُ في زمانهِ أقلُّ جزيء بعضهُ الرأي أجمعُ »

وغير ذلك مما يطول استيفاؤه : وهو في النثر لا يقل عنهُ في الشعر

٦ — الإطناب

أما الإطناب فقد يهون الخطبُ فيه لو انحصر إسهاب بعض المتكلمين في الاغراض

التي نصَّ عليها علماء البيان كالايضاح بعد الإبهام وذكر الخاصّ بعد العامّ تنبيهاً على فضلهِ . والاحتراس لدفع التوهم . والتكرار للتأكيد . والإيغال لزيادة المبالغة . والاعتراض للدعاء والتنبيه والبيان وغيرها . ولكنهم كثيراً ما يأتونهُ اعتباطاً لغير علة سوى إدخال السآمة والملال على قلوب السامعين والقرَّاء وامتحان مبلغ صبرهم على سماع الغلط وتلاوة اللغو

يتصدَّى بعض الناس للحديث في المجالس او للخطابة والوعظ على المنابر فيقضون الدقائق والساعات في الكلام على موضوع يعبّر عنهُ غيرهم في بضع ثوانٍ . فيذهبون بصبر المنصتين لهم ويحملونهم على التبرُّم والتذمر والإعراض عن الاستماع . ويكتب بعضهم نثراً أو ينظم شعراً أطول من شهر الصوم وقد عيث بهِ الاطناب ولعب وأكل عليهِ الإسهاب وشرب . وليس فيهِ من المعنى ما تضيق بعض الجمل او بضعة الابيات عن استيعابهِ

ولهذا أجمع الادباء والحكماء من قديم الزمان على ذمّ كثرة الكلام والتحذير منها وآثروا حتى الايجاز على الإطناب بل فضَّلوا الصمت عليهِ . لانَّ فيهِ نجاة من الاخطار التي يتعرَّض لها الثرثار المهذار وخلاصاً من سماع ما يذهب بصبر ايُّوب وتلاوة ما يُسقم النفوس ويملّ القلوب . قال سليمان الحكيم في سفر الامثال « كثرة الكلام لا تخلو من معصية » . وقال ابو بكر الصديق « ان البلاء موكلٌ بالمنطق » وقال اكثم بن صيفي « مقتل الرجل بين فكَّيهِ » وقال الشاعر : —

« الصمت زينٌ والسكوتُ سلامةٌ فإذا نطقت فلا تكن مهذارا
ما إن ندمتُ على سكوتي مرَّةً ولقد ندمت على الكلام مرارا »

٧ — طول الكلام وضيق الوقت

ومما يلاحظهُ المتأمل في اخلاق المولعين بإطالة الكلام على غير طائل أنهم في الغالب أحرص الناس على كل شيء ما عدا الوقت فانهم يزدرونهُ ولا يعرفون لهُ أقل قيمة . ويظنون أن غيرهم مثلهم من حيث التفريط فيهِ وعدم الحرص عليهِ . فلا يهمهم أن يقضي السامعون والقرَّاء وقتهم باطلاً في الإنصات والمطالعة لكلام طويل مفهم بتراكيب يتلو بعضها بعضاً وهي إن لم تتفق لفظاً لم تختلف معناها ومحشوٌ بتعابير حفلةٍ بالمترادفات والمتواردات

ولكنَّ السامعين والقرَّاء في هذه الايام ليسوا كما يتوهَّم بعض الخطباء والكتَّاب

فمعظمهم ان لم يكن كلهم مقيدون بأعمال وواجبات يستنفد قضاؤها أكبر جانب من وقتهم ولا يترك لهم من الفراغ لسماع ما يلقى وتلاوة ما يُكتب سوى سويعات معدودة او دقائق محدودة . فإن استغرق السماع او المطالعة وقتاً اطول مما يستطيعون التفرّغ لهُ انصرفوا عنهُ وفاتهم النفع المقصود منهُ

ومما يشح لدى الناس مجال الفراغ للسمع والمطالعة فهم أحرص وأعقل من أن يشغلوهُ بالانصات والمطالعة إلاّ لما قلّ وذلّ ولم يطل فمَلّ . ومن أهم مظاهر التمدُّن الحديث عرفان قيمة الوقت والحرص عليهِ كما على أغلى الحلى وأنفس الذخائر . واذا كان الناس قديماً قد غفلوا عن هذه الحقيقة لاسباب مختلفة وكانوا لقلة قيمة الوقت عندهم يحصونهُ بالشهور والسنين فالناس في هذه الايام يحصونهُ بالدقائق والثواني . والذين يهمهم إحراز قصب السبق في مضمار التقدم والنجاح يقتّرون على نفوسهم حتى بساعات النوم ودقائق تناول الطعام

٨ — الاطناب المستحسن
او حشو اللوزينج

فن الاطناب السائغ المقبول ما جاء فيهِ اللفظ زائداً على المعنى نكتة أو لغرض من الاغراض التي سبقت الاشارة اليها . ولذلك نستحسن كلّ الاستحسان زيادة « لو تعلمون » مثلاً في الآية الكريمة « وإنّهُ لقسمٌ لو تعلمون عظيم » . وزيادة « من غير سوء » في الآية الكريمة « وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء » . وزيادة « وبلّغتُها » في قول عوف بن محلم : —

« إنّ الثمانين وبُلّغتُها قد أحوجت سمعي الى ترجمان »

وهذا النوع من الزيادة اطلقوا عليهِ حشو اللوزينج وجعلوهُ مثلاً لكلّ ما يكون حشوهُ أجود من قشرهِ . وقالوا عن اللوزينج انهُ من الحلواء شبه القطائف تُؤدَم بالسكر ودهن اللوز . فحشوهُ خير منهُ

ومن حشو اللوزينج في الكلام وقوع الوصل في مواطن الفصل اي زيادة الواو العاطفة بين لا النافية والجملة الدعائية بعدها . كقولهم « لا وأيّدك الله » . فان الفصل اي ترك الواو يوهم الدعاء بنوع التأييد اي يوهم الدعاء على المخاطب لا لهُ وهو خلاف المقصود . ويقال انّ أبا بكر الصديق أول من سبق الى زيادة هذه الواو . وذلك انهُ مرّ بهِ رجل معهُ ثوب . فسألهُ أبو بكر « أتبيعهُ ؟ » فاجابهُ « لا رحمك الله » . فقال

لهُ أبو بكر « قد قوَّمتُ ألسنتكم لو تستقيمون. هلاَّ قلت لا ورحمك الله ؟ » . وكان الصاحب اسمعيل بن عبَّاد يقول انَّ هذه الواو أجمل من واوات الاصداغ في خدود الحسان

والاصداغ جمع صدغ وهو ما بين العين والاذن . ويطلق على الشعر المتدلي عليه ومنهُ قول البهاء زهير : —

« لله اي قلم لواو ذاك الصدغ خطَّهْ
ويا لهُ من عجبٍ في خدِّهِ كيف نقطْ »

وقولهُ : —

« عسى عطفةٌ للوصل يا واوَ صدغهِ عليَّ فإني اعرف الواو تعطفُ »

ومن حشو اللوزينج زيادة « ولا تكُنْهُ » في قول عدي بن زيد : —

« فلو كنتَ الاسيرَ ، ولا تكُنْهُ إذَنْ علمتْ معدٌّ ما تقول »

وزيادة « من غير كفرٍ بربهِ » في قول بكر بن النطَّاح في مدح مالك بن طوق احد اجواد العرب

« ولو لم يجدْ في العمر قسماً لسائلٍ وجاز لهُ الإعطاء من حسناتهِ
لجاد بها من غير كفرٍ بربهِ وشاركنا في صومهِ وصلاتهِ »

وعدَّ صلاح الدين الصفدي هذه الزيادة غاية في حسن الحشو وجودة الاحتراز

ومنهُ زيادة « غير معجَّل » في قول ابي تمام : —

« وجُزيتَ اعلى رتبة متأولٍ في جنة الفردوس غير معجل »

او زيادة « غير مفسدها » في قول طرفة : —

« وسقى ديارك غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمي »

وزيادة « وحاشاك » في قول ابي الطيب المتنبي : —

« وتحتقر الدنيا احتقار مجرِّبٍ يرى كلَّ ما فيها وحاشاك فانيا »

وزيادة « لاخلتْ ابداً » في قولهِ : —

« اذا خلت منك حص لاخلت ابداً فلا سقاها من الوسميِّ باكرهُ »

وزيادة « غير مطرود » في قول ابن الفياض كاتب سيف الدولة : —

« كأساً اذا ابصرت في القوم مختشماً قال السرور لهُ قم غير مطرود »

٩ — الاطناب المستهجن
او حشو الاكر

ومما يكثر الاطناب المستحسن او حشو اللوزينج فهو اقل جداً من الحشو الزائد بلا غرض ولا فائدة على الاطلاق بزيادة « قبله » في قول زهير بن ابي سلمى : —

« وأعلم علم اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي »

لان امس اي آخر يوم مضى لا يكون الا قبل اليوم . ومنه زيادة « في الانف » في قول علقمة الفحل يصف اترجّة (ضرباً من الليمون) : —

« يحملن اترجّة نضخ العبير بها كأن تطيابها في الانف مشمومُ »

لان الشم لا يكون بغير الانف . وزيادة « من مقلة » في مطلع البردة لبوصيري : —

« أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم »

فان الدمع لا يجري من غير المقلة . وزيادة « من الدهر » في قول بعضهم : —

« اعني فتى لم تذر الشمس طالعةً يوماً من الدهر إلا سُرّ او نعما »

لأن اليوم لا يكون الا من الدهر . وقد يكون الزائد متعيناً كما في الامثلة المتقدمة . وقد لا يتعين كما في قول عمرو ابن عديّ اللخميّ : —

« وحكّمت الحديدَ براهشيه فالفى قولها كذباً ومينا »

فان الكذب والمين بمعنى واحد لا فائدة من الجمع بينهما . ولا يتعين الزائد منهما لصلاحية كلٍّ منهما للزيادة . ومثل ذلك جمع طرفة بين « صوب الغمام » و « ديمة تهمي » في بيته الذي سيق الاستشهاد به . وقد يكون الزائد المتعين مفسداً للمعنى كما في قول غيلان الثقفيّ الملقب بذي الرمّة : —

« حراجيجُ لا تنفكُّ الاّ مناخةً على الخسف او ترمي بها بلداً قفرا »

فان زيادة إلاّ قد افسدت المعنى كما لا يخفى

ويقال لهذا النوع من الحشو المملّ حشو الاكر لانها لا تحشى الاّ بكل سقط خسيس لا قدر لهُ ولا قيمة . قال جحظة : « انشدتُ ابا الصقر شعراً لي فقال : لا تزال تأتينا بالغرر والدرر اذا جاء غيرك بحشو الاكر » وحشو الاكر في الثريشبّ عن طوق الحصر . فعلى المتكلمين كافّة ان يجتنبوا الايجاز والاطناب الا لمراعاة ما تقدم من الاسباب . وليعلموا ان الوقت اثمن جداً من ان يقضى بسماع ما يسئم ويملّ وتلاوة ما يسقم ويعلّ

القاهرة إسعد خليل داغر

افي الاثير سر الحياة والعقل

آراء السر اوليفر لدج

لا حسّ للجسم بعد الروح تعلمهُ فهل تحسُّ اذا بانت عنِ الجسد المرّي

١ : مادة الحياة : ان وجود المادة ثابت ، لا سبيل الى انكاره. والمادة عديدة الصور متنوعة الاوصاف . كالجمادات والسائلات والغازات والبروتونات والكهارب . على انها قد توجد في صورة مركّب هلامي يدعى « بروتوبلازم » . والبروتوبلازم هو مادة ظهرت فيها مميزات الحياة فندعوها « المادة الحية ». ومع اننا لا نعرف ما هي الحياة ندرك المراد بها ، لاننا نشاهد صفاتها وافعالها . فنميز بين الحي وعديم الحياة كما نميز بين صور النبات والحيوان . ونعلم ان كل حي يلد كجنسه

٢ : الحي العاقل : وكما تظهر الحياة في المادة ، متى بلغت المادة درجة معلومة في سلم النشوء ، هكذا يظهر في المادة الحية ظاهرة نسميها ظاهرة « العقل » متى بلغت درجة معلومة في سلم النشوء . ويتفاوت الاحياء في درجة العقل . واعقل الاحياء الانسان بلا مراء . والذي نفهمهُ من امر العقل انهُ مرتبط بالحياة ارتباط الحياة بالمادة . فلا نعرف حياة بدون مادة ، ولا عقلاً بدون حيّ . ونعلم ان الحياة والعقل يسودان المادة ويتصرفان بها ثم يختفيان ولم افل يتلاشيان لانهما يخرجان عن طوق المعرفة الحسية ولا حكم للعالم الطبيعي على ما يخرج عن معرفته الحسية

٣ : الاثير : ذهب علماء الطبيعة ، منذ عهد نيوتن الى انّ الفضاء اللامتناهي ، مملوء بشيء دعوهُ « اثيراً » في ذلك الحين وذاع هذا الرأي بين علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر كما ذاع رأي الجوهر الفرد . الاّ ان العلماء تمكنوا من اثبات وجود الجوهر الفرد بالامتحانات العلمية ، وعرفوا وزنهُ وحجمهُ ، وبناءهُ . وامّا الاثير فلم يتمكنوا من اخضاعه لقواعد التجارب العلمية ، لانهُ غير متشكل بالشكل المادي ، ولا هو مركّب من اجزاء ، ولا ينتقل من مكان الى مكان ، ولا يتكيّف باشكال مختلفة . ولكنهم اضطروا ان يعتقدوا بوجوده بسبب النور . فالنور اما انهُ مادة او ظاهرة طبيعية . فان كان مادّة منبثة من الاجرام السموية في شكل ذرات دقيقة تقطع كذا الوفاً من الاميال في الثانية ، فيلزمهُ حتماً ، شيء يحملهُ ، كما يحمل الماء البواخر ، وكما تحمل خطوط الحديد القواطر والقطارات . واذا كان النور ظاهرة طبيعية اي تموجاً

فيلزم ان يكون هناك شيء يتموّج . وعلى كلا الحالين لا بدّ من وجود شيء يحمل النور او يتموّج فيكوّن النور . وذلك الشيء على رأيهم هو « الاثير »

وقد كتب السر اوليفر لدج كتاباً في هذا الموضوع سماهُ « الاثير والحقيقة » طبع في شهر مايو سنة ١٩٢٥ ثلاث طبعات . وعنهُ اقتبسنا الآراء الواردة في هذا المقال

٤ : العلاقة الاثيرية : لسنا نعلم كيف تتصل الحياة بالمادة ، ولكننا نعلم انهما متصلتان — في الاجسام الحية — وظواهر ، ذلك الاتحاد واضحة لا يقوى عاقل على انكارها . فان الحي يقوم ويقعد ، ويعمل ، وفي كل ذلك يؤثر في المادة ويحركها . ولا شيء من ذلك التأثير في المادة عديمة الحياة . فاتصال الحياة والعقل بالمادة ثابت ولو كان تعليله غير مفهوم . فهل من صلة للاثير بالعقل والحياة كصلته بالمادة ؟ لا نقدر ان نثبت ذلك الاتصال بالامتحانات العلمية لان « الاثير » خفي لا تدركهُ الحواس . ولكن ذلك الاتصال لا بد منهُ لشدة ارتباط المادة بالاثير — وقد ابان السر اوليفر ذلك في شرح طويل بسط فيهِ علاقة النور بالاثير ثم علاقة الكهربائية والمغنطيسية بهِ . وقال بعد ذلك : فاذا يحصل في الاثير حين يحلّ الجسم الحي وتبرحهُ ظاهرة الحياة ؟ ان الاثير لا ينحل كما ينحلّ الجسم لانهُ غير مركب . فلا نقدر ان نقول ان الحياة تبرح الاثير كما تبرح المادة . ويريد السر اوليفر لدج من ذلك ان يجعل قبول الناس عقيدة الخلود بعد الموت بالوسائل العلمية الطبيعية امراً سائغاً

٥ : الحياة والعقل : قلنا ان من صور الحياة صوراً راقية متصفة بالادراك والشعور والذاكرة والحب ، وغير ذلك من الاوصاف السامية التي لا نعرف كنهها . ولسنا ننكر وجود هذه الصفات في الحيوانات ، كثيراً او قليلاً ، ولكن لا نستطيع ان ننكر انها في الانسان ارقى واوضح منها في الحيوان . فهل هذه القوى العقلية ملازمة الحياة او منفصلة فيها ؟ اعني هل تقوم بذاتها من غير ان تظهر في شكل حيّ ؟ اننا نعلم ان هذه الصفات غير مادية . ومع اننا لا نعرف كنهها فقد الفناها كما الفنا شروق الشمس كل صباح وغيابها كل مساء . فهل تفتقر هذه الصفات الى مطية في العالم المادي ، كما تفتقر الحياة الى البروتوبلازم ، او هل يمكن استقلالها بالوجود ؟ الامر واضح انها تفتقر الى مطية تحتطيها فلا نعرف عقلاً بدون عاقل ، كما لا نعرف حياة في غير جسم حي . ومع ان الشعور والذاكرة والارادة والحب ، ليست اشياء مادية ، فلسنا نفهمها بدون اتصالها بالمادة . وبناء على وجود هذه الصفات في انهم وجودها في امثالي من الناس

ويكره اكثر من كل شيء « الرياء » والمواربة ويحاربهما حرباً شعواء ، كما يحارب الاستبداد والاستعباد والاستعمار والاستئثار . فالرجل اشتراكي النزعة . لكنهُ ليس اشتراكيًّا شيوعيًّا ولا يجيز الاعتصام بالقوة لنشر مبدإٍ من المبادئ وهو يصور العالم في رواياته على ما هو في نفسه بافراحه واحزانه ، ومحاسنه ومساويه ، وفضائله ورذائله فيرى المشاهدون امامهم في المسرح « حقيقة » العالم كما رآها المؤلف. فبرنارد شو هو شكسبير العصر الحاضر

أما السرجيمس بري ، وهو لا يكاد ينقص عن رصيفه برناردشو مكانة وشهرة كمؤلف تمثيلي الا انهُ يختلف عنهُ بانهُ متفائل فهو لا يصوِّر العالم كما هو في ذاته ، بل كما يجب هو ان يراهُ . فلا ترمي رواياتهُ الى اعلان الحقيقة المجردة ، بل الى اعلان اشواق النفس ورغائبها فرواياتهُ جذابة فتّانة من هذا القبيل يرغب فيها العامة . ولكن الخاصة تعتصم بروايات برنادشو ولا ترضى بها بديلا

هذا ما اقولهُ في مؤلفي الروايات التمثيلية في انكلترا . اما فرنسا فليس فيها في الوقت الحاضر مؤلف تمثيلي من الطبقة الاولى . وحقيقة الحال هي ان فن التمثيل المسرحي فيها في جزْر . وقد كانت منذ قرن غنية بكبار المؤلفين الروائيين . وكان هذا الفن في جزره عندنا . فالنكست الاية الآن تهبط الفن المسرحي في فرنسا من الاوج الى الحضيض وارتفع عندنا من الحضيض الى الاوج . شأن الحوادث في الدنيا فهي بين صعود وهبوط ، وهجمة ويقظة ، ومد وجزر . على انهُ قد شرع بعض المؤلفين المحدثين يجدّون في احياء الفن المسرحي في فرنسا . ولاسيما بتويف الروسي الذي أبرز في باريس معجزات من الفن . واخذ الآخرون يحذون حذوه

والفرق بين التمثيل السكسوني والتمثيل اللاتيني هو هذا . ان الروايات التمثيلية السكسونية هي مزيج من نوعي الروايات « الكلاسك والروماتك » اي الادبية والغرامية . اما الروايات التمثيلية اللاتينية عموماً ، والفرنسية خصوصاً فمقيدة بقواعد دقيقة يجب ان ترعى حرمتها في التأليف فيضطر المؤلف ان يطبق فصول الرواية عليها . وهنا يرد ذكر شكسبير مرّة ثانية فانهُ متمرّد على القيود ، لا يرضى ان يتقيّد بعادة ولا بقاعدة ما ، بل يورد الامور كما هي وهذا الوصف يصح تعميمهُ على المسرح الانجليزي بازاء المسرح اللاتيني

وفي روسيا نهضة تمثيلية ظاهرة . وكذلك في اسبانيا . ففيها مؤلف من الطبقة

الاولى هو السنيور مورتيز سباما وفي ايطاليا مؤلف شهير من هذه الطبقة وهو السنيور لويجي بيرندللو . واما المانيا ففيها مؤلفان كبيران ، هما جرهاردت هوبتمان وهوجنز هو فا لستول

قلت : اي امة هي اسبق الامم في فن التمثيل في العصر الحاضر قال :

لقد احرزت المانيا اليوم قصب السبق في هذا المضمار كما احرزته اليونان في التاريخ القديم . فالقائمون بامور التمثيل في المانيا من مؤلفين ومديرين يجربون اليوم تجارب فنية خارقة ، وينشئون مشاهد جديدة عجيبة في مسارح برلين ومونيخ وفينا بل في كل اوربا الوسطى ، اعني اوربا الالمانية . والظاهر انهم سائرون بفن التمثيل الى طور جديد ، ولا بُدّ ان يجري العالم وراءهم . ولا مندوحة عن القول ان الولايات المتحدة الاميركية سائرة في اثر المانيا في التجارب الجديدة ، وفي تزيين مشاهد التمثيل فيها وتزويقها وتجهيزها بالمشوقات والمرغبات . وقد اشتهر هنالك المؤلف اوجين او نيل الارتسدي الاصل الذي يحاول الابداع في رواياته . ولكن الاميركيين عموماً يسجون على منوال الالمان

قلت : أيدلك اختبارك على ان للتمثيل اثراً ادبيًّا في النفوس الناشئة ؟

قال : التمثيل ، في افضل حالاته وارقاها يؤثر في جميع طبقات الناس واثرهُ المباشر هو تبادل التفاهم والتفاهم اساس المسالمة والسلام . والمثل الفرنسي يقول « من فهم الكل سامح الكل ». فالتمثيل الراقي يجمع العواطف ، ويوجهها معاً بالشوق والميل الى جهة معينة في مجرى الرواية . فتتوحد ميولها وتتحد خطوطها ، فتصير قلوب الجماعة في مشهد التمثيل كتلة واحدة ، كما تصير الجنود في جهة القتال . فالتمثيل من افعل الوسائل لائتلاف الشعوب . وهذا الذي قادنا مسرورين الى وادي النيل فانا راغبون في التفاهم مع سكانهِ . اما اثر التمثيل في نفوس الشبان من الوجه الادبي فهو اثر مفيد اذا كانت الروايات سامية الغاية بليغة الاسلوب متقنة التمثيل وارى ان التمثيل من افعل الذرائع في تمدين الشعوب ، وتوسيع نطاق افكارها ، وتسديد آرائها ، وتحرير نفوسها

قلت : هل جال المستر اتكنز في اوربا . وهل ذهب الى اميركا ؟

قال : نعم قد جال في اوربا ، ومثل في عواصمها كباريس وبروكسل وغيرها ، وقد زار اميركا مراراً وهو معروف فيها كثيراً . وفي انجلترا مدارس خصوصية لتعليم شكسبير وارجح ان المستر اتكنز تخرج في احداها فأخذ على عاتقهِ احياء شكسبير فاقلع

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه غيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذ الاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستعار على المطولة

وجهة التعليم العام

حضرة الفاضل محرر المقتطف الاغر

ان تحديد وجهة التعليم من الامور الهامة التي يجدر بالحكومات في الشرق الادنى ان تعنى بها وتنبهها نصب عينيها عند سن القوانين ووضع البرامج وتهيئة خطط التعليم والتهذيب العام. وكل خطة تعليمية توضع دون التفكير في الوجهة التي ينبغي تسيير التعليم اليها لا تساعد اية حكومة على تركيز قواعدها. او بعبارة اخرى يجدر بكل حكومة ان تتخذ من خطط التعليم وانظمة الدراسة عوناً على ترويج المبادىء التي يعتنقها اقطابها من فلسفية واقتصادية وسياسية. فالحكومات الملكية الدستورية مثلاً يجدر بها ان تجعل مدارسها ميادين لترسيخ قواعد الملكية الدستورية وكذلك الحكومات الجمهورية بل والحكومات الاوتوقراطية

ولقد كانت الامبراطورية الالمانية تغرس في قلوب فتيان الالمان حب العسكرية وحب التوسع وتمجيد القوة فلما تلقّ عرش الامبراطورية بعد الحرب العظمى وجدت الجمهورية الالمانية انهُ من المهم حذف الكتابات التي تمجد القوة العسكرية وتتغنى باعمال ابطال الالمان السالفين من مقررات التاريخ في المدارس. كذلك حكومة البولشفيك في روسيا لا تلقن الاطفال الروسيين مجد القياصرة الغابرين وانما تروج في مدارسها مبادىء الشيوعية وتغرسها في نفوس الطلاب تعظيم أبطالها بل انها قد جعلت لزعيمها الاعظم (لنين) قبراً يزار وصيّرت ضريحهُ كعبة ترنو اليها الابصار. والكتب الدراسية

الامريكية حافلة بذكر المبادىء الديموقراطية التي قام عليها مجد الولايات المتحدة وسير الاعاظم من رؤسائها كوشنطن ولنكن وروزفلت

أما في مصر فانك تقلب صحائف الكتب المدرسية في انواع المدارس المختلفة وتستعرض ساعات اليوم المدرسي وما يلقى فيها من دروس وما يعرض للتلاميذ فيها من تجارب. فلا تجد شيئاً يشعر باتجاه التعليم العام نحو غاية عمرانية معينة فلا يروّج الحكم الدستوري في الادارة ولا في التعليم. واقصد بالادارة ان يمرّن التلاميذ من الصغر على ممارسة الحكم الدستوري فيتعوّدون تأليف الجمعيات واختيار رؤسائها وادارة اعمالها كان الجمعية منها برلمان صغير. ولا يختلط بهم اساتذتهم اختلاطاً يحسون فيه بزوال الفوارق وعدم وجود الحواجز التي لا تدعو اليها ضرورة نظامية. وترامم قلما ينشدون الاناشيد التي تحبب اليهم من الصغر مليكهم الدستوري واسرتهم المالكة أو تغرس فيهم اصول التعلق بالحكم النيابي والعناية بالحياة النامة كما تنطبق على مصر وليس ما يدرسونهُ من التاريخ والاخلاق قائماً على هذا الاساس الذي اشرنا اليه

قرأت في احدى الصحف التي تعنى بمسائل التعليم والمدارس الانكليزية ان في انكلترا لجنة للهيئة على التعليم الوطني ومعرفة مدى عناية رؤساء المدارس والمعلمين بغرس حب الاسرة المالكة والنظام الامبراطوري في قلوب احداث الانكليز. هذا عمل جليل للجنة اذ يجب ان تنشىء كل حكومة ابناء مدارسها على المبادىء والقواعد التي تريدها وتختارها ليكونوا في المستقبل عصبتها وحماتها والمدافعين عن مبادئها دفاع حب واقتناع لا دفاع تقليد واستسلام. فعلى الامم الشرقية التي اطمأنت الى نوع مخصوص من انواع الحكم ان تبذر بذوره في المدارس وتجعل من ابنائها تربة خصبة صالحة ينمو فيها غراسه وتطيب بها ثمراته

حسين نجيب
ناظر مدرسة التحاسين

مقارنة بين نهضة الشرق الادنى ونهضة الغرب

رأي وانتقاد

طلب قلم تحرير المقتطف في السنة الماضية من جهابذة الكتاب في الشرق أن يبدوا آراءهم « في اظهر مظاهر نهضة الشرق الادنى الحديثة وابقى آثارها ». وقد قابلت بين آراء الذين لبوا منهم دعوته حتى الآن وبين اظهر مظاهر نهضة الولايات المتحدة

وابقى آثارها لانها من ارقى الامم الراقية ان لم تكن ارقاها كلها ولدى هذه المقابلة دفعني حب الوطن الى ان ازجّ رأيي بين آراء هؤلاء الكتاب الكبار . ولا رائد لي الا حب الحقيقة وحب الجهر بها

وبعد هذا التمهيد اقول : انهُ لا يخفى ان الشرق الادنى وخصوصاً سوريا كان منذ قرون كثيرة مطمح انظار الدول الكبرى الفاتحة من يونان ورومان وعرب واتراك وانكليز وفرنساويين . وقد تعاقبت تلك الدول في الاستيلاء عليهِ على هذه الصورة فكان كلما افتتحتهُ دولة منها تبقى فيهِ مدة ما حتى تغير عليها دولة اخرى اقوى منها فتغلبها على امرها وتطردها منهُ وتحلّ محلها . ولاحتكاك مصالح الشرق الادنى بمصالح تلك الدول الفاتحة دُفع الشرقيون الى المجاملات والتودد لاصحاب تلك المصالح لاجل مصالحهم . وهذا وذاك خولاهم التقرب اليهم والامتزاج معهم فتيسر لهم اذ ذاك الاطلاع على اسباب معايشهم ، وموارد رزقهم ، وعلة رقيهم ، ورأوا ان ذلك ينطبق على مقتضيات حاجتهم تماماً وهم لا يستطيعون ابتكار وسائل كهذه لضعفهم وفقرهم فعمدوا مضطرين الى الاقتباس عن الدولة الحاكمة والى تقليدها واتباع حركاتها وسكناتها كما يتبع الظل الجسم المتحرك . واخذ الشرق يتوارث كل ذلك من السلف الى الخلف وعلى مر الزمان اصبح ذلك فيهِ عادة قوية تتقيد بقيودها . وهذه القيود اخرتهُ عن التقدم مع الامم الراقية وقعدت بهِ عن مباراتها وعن التفوق عليها في ميدان الابتكار والاختراع والاكتشاف والاستنباط . وهل يستطيع المقيَّد ان يجاري الطليق في امر ما ؟ لاسيما وان القيد ثقيل والطليق سريع . فيئس الشرقي اذ ذاك من هذه الحالة واستأسر لقيودهِ ورجد عليها — ومن العجب العجاب ان كبار الكتاب الذين كتبوا في موضوع اقتراح المقتطف عدّوا الجمود على تلك القيود اظهر مظاهر نهضة الشرق الادنى الحديثة وابقى آثارها . ولاجل الاختصار اكتفي بذكر قول الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي بحروفهِ لانهُ يكاد يجمع ملخص آرائهم قال : (اما مصر وسوريا وفلسطين وهي البقية الباقية من الشرق الادنى . فاظهر مظاهر نهضتها « التطلع » الى « تقليد » اوربا في العلوم والفنون والآداب الاجتماعية وحياة الاسرة وحرية المرأة والصناعات والاعمال المالية واحياء اللغة العربية) ويا ليت هذا « التطلع » يكون الى المباراة في الابتكار والتجديد . لا الى الاتباع والاقتباس والتقليد . وهل عدت نهضة اليابان نهضة حقيقية لو لم تكن قد جارت الامم الراقية في رقيها وتخطتها في امور عديدة

مهمة ؟ ولقائل يقول ان هذا افضل ما هو في الشرق الادنى فعدٌّ من اظهر مظاهر نهضته وآتي آثارها . فاقول : لقد كان اجدر بجمهور الكتاب ان يدلوهُ على الاركان اللازمة التي تبنى عليها النهضة الحقيقية ويحضوهُ على هذا البناء . ولرب قائل آخر يقول ان الغرب أخذ أولاً المدنية والعلوم عن الشرق ويحق لهذا ان يأخذ ذلك عنهُ الآن . فاجيب ان هذا قول لا يليق بالرجال وعلى الرجال ألا يكتفوا بالاخذ عن الغير بدلاً من ان يأخذ الغير عنهم وان يُقلدوا لا ان يقلِّدوا . لقد اخذ الغرب نهضتهُ اولاً عن الشرق لكنهُ زاد من مبتكراتهِ على ما اخذهُ من وسائل التحسين والاتقان والتوسع حتى لم يُعْرَف عندهُ الاصل المأخوذ عنهُ

فهل زاد الشرق على ما اخذهُ عن الغرب شيئاً ؟ عدا انهُ لا ناقة لهُ ولا جمل في الابتكارات والاكتشافات والاختراعات العديدة التي جاء بها الغرب ولاسيما العصرية منها ؟ يدلك على عظم تأثير ذلك في السرعان الآن انهُ تحققت مسألة بساط الريح . وغلب النسر على عرشهِ واصبحت الطيارات تقل البريد والركاب وامتعتهم وغداً تقلّ البضائع . وصار الانسان يستطيع ان يرسل خبراً ما بالتلغراف اللاسلكي فيدور حول الارض ويرجع اليهِ باقل من اربعة دقائق . وغدا هواة التليفون اللاسلكي في اوربا يطربون ويرقصون على الاغاني التي تغنى في اميركا وامسى هواتهُ في الشرق يرقصون على بعض الانغام الموسيقية التي تذاع في اوربا . وصنعت حديثاً سيارة في بلاد الانكليز بلغت سرعتها ٢٠٧ اميال في الساعة . واكتشفت مؤخراً آثار الانسان الاول في نبرسكا واكلاهوما في اميركا وهذه الآثار ترجع الى ٢٥٠٠٠٠٠ سنة على رأي البعض وصارت الرؤية عن بعد والرؤية في الظلام حقيقة واقعة . واصبح الانسان قادراً ان يرفع بضغط يدهِ الواحدة ما ثقلهُ مئات من الاطنان الى العلو اللازم كما يرفع الولد الرغيف . وبلغ علو بعض القصور الشاهقة في نيويورك نحو الف قدم وكاد يمكن تحويل بعض المعادن المختلفة الى بعض او الى انواع قليلة . وكشف اثر الجراثيم المرضية التي كانت لا ترى قبلاً لصغرها . وكشفت الادوية المضادة لفعلها . فقلّت الوفيات واصبح الانسان لا يخشى شرها . وغدا حديث الجراحين كحديث السحرة لغرابتهِ . وعولجت التربة بالاسمدة الكيماوية فزادت المحصولات اضعاف ما كانت . وزادت ثروة الامة زيادة عظيمة فشملها الرخاء وظللها الفلاح . واضحى يستطاع تبديل ما انتحر من الانسان وقد لا يمر غداً اعادة الشباب واني لا ابالغ اذا قلت انهُ لولا سعة ارض الشرق بالنسبة

الى سكانه وخصب تربتها وجودة مزروعاتها لا تقرض اكثرهم جوعاً . من يتصور عظم الضائقة التي تحل على القطرين المصري والسوري اذا اخل في الاول موسم القطن اربع سنوات او خمساً متوالية او اذا اخل في الثاني موسم الحنطة والذرة والحرير اربع سنوات او خمساً متتابعة . لكن اذا وقعت ضائقة على الغرب لسبب محل مزروعاته مدة ما فانهُ يدفعها عنهُ بما يستطرهُ من الاموال الطائلة من ثمار اختراعاته ومكتشفاته ومستنبطاته الكثيرة . فهل ما ذكرهُ حضرات الكتاب الافذاذ على انهُ اظهر مظاهر نهضة الشرق الحقيقية وابقى آثارها هو من مبتكراته ؟ أليس هو مديناً به للغرب لانهُ اخذهُ عنهُ والمدين عبد للدائن . هل يحب الشرق ان يكون دائماً عبداً ؟ ومتى يتحرر ؟ والى متى يظل يرسف في قيود التقاليد التي ورثها من اسلافه ؟ اني شرقي واحب الشرق واغير عليه وليس سهلاً على المحب ان يقول لحبيبه انت مريض ولكن هذا خير ما يفعل

اعرض هذه النهضة على الغرب فينكرها عليك لانها ليست بالنهضة التي تزيحهُ قيد شعرة عن اعتقادهِ بان الشرق بارد الهمة خاملها جامد على قيود التقاليد التي ورثها من اسلافه . وافضل ما يقول فيه الغرب انهُ اي الشرق مقلد مقتبس لا يريد ان يمهد الطريق لذاته ليسير عليه بل يحب ان يسير على الطريق الممهد وراء من يمهده . لذلك ترى ان الشرقي في هذه الولايات حتى صغاره يخجل غالباً بوطنه ويخجل من الكلام بلغته الا همساً او على انفراد بينما ترى الايطالي يفتخر بالكلام بلغته ويتباهى بذكر وطنه الذي انجب غليلو ومركوني . والانكليزي يفتخر بوطنه الذي ولد فيه اسحق ونيوتن وفراداي وداروين . والفرنساوي يفتخر بالوطن الذي نشأ فيه باستور ولافوازيه . والالماني يفتخر بوطنه الذي ولد فيه كانت وكوخ وهلمهتز . ونفس على ذلك سائر الممالك الاوربية مالتي انجب كل منها رجالاً لا يقلون عن فرنكلن واديسن الاميركيين . حتى اليابان تفتخر بانها جارت الامم الراقية في رقيها وتخطتها في عدة اشياء هامة . فبمن نفتخر او بماذا ؟ أبالجمود على تلك القيود أنال احدنا جائزة من جوائز نوبل ؟ أيجوز بعد كل ما تقدم ان تدعى تلك الطفرة التقليدية نهضة حقيقية ! وهل يجوز ان الام وأسلق بالالسنة اذا قلت ان كل ما عدَّ انهُ اظهر مظاهر نهضة الشرق الادنى الجديثة وابقى آثارها هو بالحقيقة اظهر مظاهر الاقتباس والاتباع والتقليد . وابقى آثارها

وعندي ان الشرق ينهض نهضة حقيقية تحسب من عنديات . وتعد من مبتكراته . ويقره عليها الغرب اذا بناها على خمسة اركان رئيسية (١) الجرأة في التحرر من قيود

المذاهب القديمة واعتناق المذاهب الجديدة الحقيقية التي مانبها العلم والبحث. اعني بذلك ان يحذو حذو غليليو وداروين . اثبت الاول دوران الارض حول الشمس غير حافل بقيود المذهب القديم القائل ان الشمس تدور حول الارض ولما اكتشف الثاني ان الانسان متسلسل من الحيوان . طرح عنهُ قيود مذهب الاعتقاد القديم القائل ان الانسان خلق كما نصَّ على خلقهِ سفر التكوين وقدْ جاهر الاثنان بحقيقة مذهبهما على رؤوس الاشهاد . ولم يحفلا بما جرَّهُ ذلك عليهما من الاضطهاد (٢) التجديد او ترك القديم المفيد والتعويلُ على الجديد الافيد فقدْ ثبت لماركوني بعد البحث في طبائع الكهربائية وتواميسها أن افعال الامواج القصيرة في تلغرافهِ افضل من فعل الامواج الطويلة لاسباب يعرفها قراء المقتطف . فعدل عن استعمال هذه الامواج فيهِ وعول على استعمال تلك بدلاً عن هذه وذهب الى انكلترا وبين لها ذلك. وطلب منها ان تستعمل الامواج القصيرة في التلغراف اللاسلكي بدلاً من الامواج الطويلة ففعلت

(٣) المباراة في ميدان الابتكارات والاكتشافات والاختراعات. اكتشف باستور سر الاختمار وفساد القول بالتولد الذاتي فتلاهُ روبرت كوخ واكتشف مكروب التدرن وتباري كثيرون آخرون في كشف المكروبات ودرس طبائعها

(٤) العزم على إحراز قصب السبق او التفوق في ميدان الاعمال المثلى . مثال ذلك انهُ لما كان تشمبرلين الطيار الاميركي يعد العدة لاتمام رحلتهِ الجوية من الولايات المتحدة الى باريس بلغهُ خبر فوز لندبرغ فلم يرد هذا ان يطير وراء لندبرغ على الخط الجوي الذي مهدهُ لنفسهِ من الولايات المتحدة الى باريس بل اراد ان يتفوق عليهِ بهذا الميدان فطار من الولايات المتحدة الى قرب برلين فوصل اليها سالماً بعد ٤٢ ساعة قطع في اثنائها نحو اربعة آلاف ميل . وعلى هذه الصورة ترى نوابغ الغرب يتسابقون في ميدان التفوق كما تتسابق الفرسان في حلبة السباق

(٥) ان يجود الاغنياء والحكومة بالاموال اللازمة لانشاء المعاهد العلمية ولمساعدة العلماء بما يقوم بمعايشهم ويسد حاجاتهم لكي يواظبوا على متابعة ابحاثهم في ترقية العلوم وتوسيع نطاق المعارف حتى يصلوا بها الى نتائج تنطبق على مقتضى حاجات الامة. فاذا حكم اشرق الادنى نهضته على هذه الاركان يكون قد نهض نهضة حقيقية تحسب من مبتكراتهِ ، ويقرهُ عليها الغرب . ويصح ان ينظر اليهِ بعين التجلة والاعتبار ويصبح الشرقي في الغرب يفتخر بوطنهِ كرتيجي بسلفانيا .

حنا يوسف الاعضا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة و الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوقاية افضل من المعالجة

٢

عمل الأم — مرض الزكام

١ — عمل الأم

ان عمل الام في تربية اولادها لا يقل شأناً عن أي عمل آخر يقوم باعبائه الرجل في مختلف مرافق الحياة . بل اقول ولا مغالاة كما يقول أعظم الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاخلاق وقادة الفكر : ان عمل الام أعظم قدراً وابعد أثراً وانبل قصداً من سائر الاعمال والصنائع التي يمالجها الرجال والنساء جميعاً من غير استثناء . ومن تصدى لمقارنة عمل الام في دارها وما يتم فيه على يديها من تنمية عود صغارها وتغذيتهم بدمها الذي هو حياتها وما تعانيه في غرس المبادئ القويمة والتعاليم الرشيدة واعتادهم على القواعد الصحية والعادات الطيبة في مختلف الاحوال والادوار اقول : إن من يتصدى لمقارنة عمل الام هذا بأي عمل من اعمال الانسان مهما عظم قدره وجل شأنه وجد ان المقارنة باطلة أو معدومة الاساس ومن يجرؤ على القول بان هناك اساساً للشبه بين ما تفعله الام في منزلها وما يفعله الموظف في ديوانه أو الصانع في معمله تصدى للحض ما يقول به علماء الاجتماع والاخلاق وقادة الفكر في كل الامم وكل عصور التاريخ ، ان عمل الام في تربية اولادها أهم من أي عمل او صناعة يقوم به الانسان . واذا قلت ان بعض الامهات جاهلات لا يعلمن من اصول التربية اصلاً ولا يفقهن ان للصحة قواعد ولتغذية الاطفال نظاماً له اثر بعيد في مستقبل ايامهم ونجاح اعمالهم اذا قلت هذا اجبتك : نعم انه يوجد بين الامهات أكثر من « بعض » ويؤسفني جداً الاسف ان اقول لا بل أكثر من ثمانين في المائة منهن بحاجة الى العلم والهداية ولكن هذا لا ينفي قيمة ما

تقوم به الام العاقلة من عمل ولا ينتقص من شأنها في أعداد الرجال ليخوضوا ميدان الحياة والاعمال انما يزيده عظمة ويزيدنا تبعة في تدريبها لانهُ اذا تحريت تاريخ العظماء في العصور الغابرة والحديثة من فلاسفة وعلماء وحللت العوامل التي دفعتهم في طريق الشهرة والنبوغ علمت ان الحجر الذي وضع في اساس حياة ذلك العظيم او الزعيم او من كان لهُ شأن يذكر في التاريخ انما وضعتهُ الامّ .

نعم ان في استطاعتك ان ترجع فضل من نجح وتفوق وبرّز في مضمار الحياة الى التربية الاولى وبقدر ما تكون هذه التربية صالحة لاعداد الجسم على القواعد الصحية وتعديهُ العقل بالعادات والاخلاق الحميدة يكون استعداد الطفل أتم لمقابلة الطوارئ وتقلبات الاحوال حين يبلغ الرجولة. وعلى هذه القاعدة ارسل ما اكتبهُ مصارحاً به الام وهي في جلالة خدرها تعنى بشؤون طفلها ودارها . انها في نظري ملكة متوجة باكليل المجد والفخار لا ينازعها فيهما غير الجهل . أما العلم فيعضدها ويقوي ساعدها ويزيد في جلالة مجدها وعزة مقامها والعلم اذا اخذت به وسارت في تربية أولادها على نورهِ اضاء لها سبيل الحياة وجعلها تحسُّ بالسعادة الصحيحة والتنعم بلذة الامومة الصادقة. فالام الفاضلة حقاً هي التي تغذي طفلها من ثديها وتحرص على صحته وهنائه وتعنى بتغذيته على نظام لهُ اصولهُ المعقولة لا بكما يعنّ لها او حسبما يسمح لها وقتها أو كلما بكى الطفل وشاءت اسكاتهُ . فقليل من العناية الدائمة بنظافة جسمه وثيابه يدفع عنهُ غائلة الامراض التي تتحين جراثيمها الفرص للاحتلال فيه واظهار بأسها عليه وتدفع عنها متاعب المرض والخوف من خطر محدق به

***

وجراثيم الامراض صغيرة الجسم لا تراها العين المجردة ولكن فعلها بالاجسام وما تتركهُ من اثار لا تحتاج الى تدليل وهي لا تعيش الا على القذارة . فاذا كانت عناية الام بنظافة جسم طفلها وثيابه ونظام تغذيته تامة فلا سبيل للمكروبات اليه ولا خوف منها عليه . أما اذا كانت هذه العناية ناقصة في ناحية من نواحيها واذا كانت عناية الامّ بصحتها ونظام معيشتها ونظافة جسمها وثيابها غير تامة فانها تخلق لهذه الجراثيم اسباباً لاظهار فعلها في جسمها اولاً وفي جسم ابنها ثانياً وفتك هذه المكروبات بالارواح مروّع محزن لانها تقضي على عدد كبير من الاطفال الذين هم عماد الامة قبل ان يجتازوا العام الاول من أعمارهم فيذهبون ضحية الجهل والاهمال

٢ — الزكام ووقاية الاطفال منه

واني اسوق الى الامهات صورة لمرض الزكام البسيط فان ميكروبه منتشر في هذه الايام انتشاراً عظيماً وانهُ في نظر كل ام بل في نظر الناس جميعاً من اخف الامراض وطأة وأسلمها عاقبة فلا خوف منهُ ولا احتياط يتخذ لدرئه. كذلك لا طبيب ولا دواء لمداواته وتخفيف سورته. فهو يدخل الجسم اليوم ويتركهُ غداً او بعد الغد. ولكن هذا المرض لهُ في علم الوقاية شأن كبير وفيهِ خطر كسائر الامراض الخطيرة في تفشيها وفتكها وهو في نظر هذا العلم كالشرارة الصغيرة تتولد منها نار عظيمة تأكل الاخضر وتكتسح كل ما يعوق امتدادها بل هو أعظم من النار خطراً واشد منها وطأة كما ترين فيما اقصهُ من اخبار انتشاره وتأثيره ومنهُ تعلمين اني لم اعرض لهذا المقال اعتباطاً وانما اردت فيهِ مقصداً لا بد من تفصيله.

فالزكام على بساطته يصير مع الاهمال من اقوى الاسباب على ازهاق الارواح ففي ميكروبه المجهول الاصل والشكل نزعة الى المكر والفر وميل الى المداجاة والمعاشرة ورغبة لعقد الاجتماعات ونشر الدعوة بين مختلف انواع الميكروبات فهو في سليقته كما تراهُ كثير التنقل رشيق الحركة اذا ما حل في جسم من افراد اسرة انتشره بين عشية وضحاها بين جميع افراد تلك الاسرة وانتقل من هؤلاء الى من يجاورهم او يكون قد ذهب لزيارتهم وينتقل من هؤلاء في عودتهم الى بيوتهم واختلاطهم باخرين الى هؤلاء وفي مدة قصيرة يرفع علمه في صدر كل فرد من الجماعة ويصبح القسم الاكبر من الامة مزكوماً ولو اقتصر الحال في هذه الزيارات والتنقلات عليهِ فقط لهان شره وضعف امرهُ ولكنهُ فضولي يحب المعاشرة ويسرف في نشر الدعوة وعقد الاجتماعات والباحث المدقق يشاهد في بصاق هؤلاء المزكومين ميكروبات لامراض خطرة تنشأ بواسطة ميكروب الزكام البسيط فهو من هذا القبيل يمهد في احتلاله للجسم السبيل الى غيره من الميكروبات التي من طبيعتها التكاثر والانتشار في هذا الفصل فتجد من ميكروب الزكام اكبر مساعد لها على اجتياح الجسم من غير مقاومة تذكر. كأن هذا الميكروب يفتح لها المنافذ والابواب ويمد الاغشية المخاطية في الحلق والانف والحنجرة والبلعوم فتصبح منابت صالحة لسواهُ بما يحدثهُ فيها من التهاب واحتقان وينحدر من هذه السطوح إلى الاغشية الشعبية والرئوية ومن هنا ينشأ البلاء والخطر من الداء فلو قليلا من الوقاية في دفع الزكام او حصره لقلت اصابات الالتهابات الرئوية وبطلت مضاعفاتها الخطرة

فالأم العاقلة لا تعرض طفلها للبرد ولا تصحبهُ معها في زياراتها بل تحترس اشد الاحتراس عليهِ منهُ وتراها عند ما تريد ان تغير ثيابه تختار الساعة العاشرة صباحاً ميعاداً لذلك لانها ترى الوقت انسب لها وللطفل معاً اذ يكون برد الليل قد تقلص امام حرارة الشمس وتكون قد فرغت من الشؤون الخاصة والعامة لتهتم بطفلها ولم يبق عليها من الاعمال غير هذا العمل المقدس. فتحضر لهُ الثياب النظيفة والماء الساخن ثم تقفل منافذ الحجرة وتبتدىء بنزع ثياب الطفل وبسرعة تمسح جسمه ان كان نحيفاً وتغسل وجههُ ويديهِ بخذيه . واذ كان عملوء الصحة فتغسل رأسه ووجههُ اولاً ثم تنطس جسمهُ في المنطس وتغسلهُ جيداً ثم تنشفهُ بسرعة وتلبسهُ الثياب الملائمة للفصل. وفوائد هذه العادة اي عادة غسل الجسم كل يوم عديدة اهمها اعتدال الدورة الدموية ونظام توازنها بحيث يتوزع الدم الى اجزاء الجسم توزيعاً منظماً ومتوازناً وفي ذلك يحتفظ الجسم بحرارته على نسبة واحدة من غير ان يصيب جزءاً منهُ اكثر من الجزء الآخر وهذا التساوي يقي الجسم من الزكام ويدفع عنهُ مضاعفاته. وكذلك تراها عند ما تريد الذهاب به الى نزهة في الخلاء فانها تحرص على أن يكون جسمه مصوناً من البرد بما تلبسهُ من ثياب اضافية وهي لا تنسى الرقادة المبلولة وتهمل ابدالها بسواها ناشفة لانها تعلم مقدار ما ينشأ عن هذا الاهمال من ضرر وهي حريصة ايضاً على ابطال عادة متأصلة فينا وهي «تقبيل الطفل» فلا تسمح لزائريها مهما كانت صلتهم بها قريبة بان يقبلوا طفلها وتقبيل الطفل عادة بريئة ولكنها تفضي عليهِ احياناً بما تنقل اليهِ عن طريقها من المكروبات والامراض وقوام هذه العادة المجاملة واللطف وليس في الاثنين شيء جوهري لحياة الطفل فهو يعيش ويحب من غير ان يشعر بالحاجة اليها وتتوافر لهُ اسباب الهناءة والطمأنينة في منعها عنهُ لانها عادة غير لازمة وفي استعمالها ضرر بليغ فالاقلاع عنها أولى الا اذا كان المقبل على ثقة من سلامة جسمهِ من الامراض وفي هذا الحال لا يحرم من التطيب بانفاس الطفل الزكية واليك أيتها الام سلامي وتحيتي

الدكتور شخاشيري

شجاعة النساء

ما من احد من قراء المقتطف يجهل اسم السيدة روزتا فوربس التي واصل معها احمد حسنين بك رحلتهُ الاولى الى الكفرة (وهو الآن الامين الاول لجلالة مولانا

الملك) . قرأنا لهذه السيدة الآن فصلاً في عجلة ونذرر موضوعها شجاعة النساء ذكرت فيه نوادر لها ولغيرها من النساء تدل على شجاعة فائقة في مواقف الخطر

قالت انها لما دارت حول الارض اول مرة كانت تسير بحراً غير مفضلة سفينة على اخرى واذا وصلت الى نهر قطعتهُ ولو على رمث وتركب في البر على كل مطية من الفيل الى الجاموس

كنت منذ عشر سنوات نزلت بيتاً في شمال استراليا حيث البلاد مراع للسائمة وحيث اراضي الانسان تقاس بالاميال لا بالفدادين وحيث يسير الانسان مسافة ثلاثة اشهر ولا يلتقي بآخر وكان في البيت الذي نزلتهُ رجل وزوجتهُ وطباخة صينية وخادمان فارسل الرجل احدهما ليلاقي عجاب البريد الذي يمرُّ مرةً كل شهر في مكان يبعد عن ذلك البيت عشرين ميلاً وارسل الآخر ليرى ترعة على ثلاثين ميلاً قبل ان ماءها غاض ووضع يدهُ على كتف زوجته وقال لها اتخافين من البقاء وحدك وعندك مؤونة ثلاثة اشهر فرفعت رأسها وقالت عندي مسدس فلا تخف فضحك وقال لها انت اشجع من كل رجل ولكن اذا جاءك كوكافو بيت فاعطهِ كل ما يطلب واصرفيه وكوكافو هذا نص كبير وشيطان مريد. وقبل بعد ذهابهِ بنحو بضع ثياب ولم تكد تفصل ذلك حتى اقبل علينا هذا الشيطان من حيث لا ندري وبادأنا بقوله انكما وحيدتين الآن وانا لا اتعرض للنساء بسوء فجعلت صاحبة البيت تخادعهُ بالكلام فقال لها لا بدَّ من ان يكون المفتاح معك فقالت نعم وتناولتهُ من جيبها وفتحت درجاً واخرجت منهُ مسدساً وفي طرفة عين صوبتهُ الى رأس اللص وقالت: ارفع يديك والاَّ اطرت دماغك فوقف مبهوتاً ورفع يديهِ وقال لي من غير ان يلتفت اليَّ اذهبي ولاقي عجاب البريد فخرجت وجعلت أسير على غير هدًى وكان عمري تسع عشرة سنة ولم اكن قد اعتدت الضرب في القفار وبعد عشر دقائق حسبتها عشر ساعات رأيت راكبين آتيين نحوي فترجلا ودنيا مني فاخبرتهما بواقعة الحال فعدنا الى البيت ولما سمع اللص وقع خطواتنا التفت وانزل يديهِ فناديناها اطلقي الرصاص وفي تلك اللحظة اخرج اللص مسدسهُ واطلقهُ فمرت الرصاصة فوق رأسها ومرخت انا لماذا لا تقتليهُ يا مجنونة وكثر اطلاق المسدسات لكن بيت هرب من بيننا سليماً ولما سألناها لماذا لم تطلق الرصاص عليهِ ارتنا المسدس واذا هو فارغ لا رصاص فيهِ

اعرف امرأة اخرى في الهند جرى لها مع لص ما يماثل ذلك وكان هذا اللص مشهوراً بالفتك بمن يريد سرقتهُ وحدث ذات يوم ان زوجها وهو كولونل في الجيش كان غائباً وخدمها يتناولون عشاءهم وامام البيت رواق فيه رزمة كبيرة من البسط ملفوفة كالاسطوانة فجلست تقرأ مجلة ثم خرجت الى الرواق وجلست تستنشق نسيم المساء ثم حانت منها التفاتة الى رزمة البسط فرأت لعلي رجل بارزين منها فنادت خادمتها قائلة الهواء منعش هنا فأتيني بكتاب ولما انتهابه قالت لها ان ورقهُ غير مقصوص فأتيني بسكين لاقصهُ أتبني بخنجر سيدك اذا لم تجدي مقص الورق ولما اتتها به قالت لها لا داعي للجلب كرسي ثم جلست على رزمة البسط وكانت بدينة جداً وظلت جالسة الى ان جاء زوجها مع رجلين من جنوده والخنجر في يدها واللص لا يستطيع حراكاً

***

لما كانت نار الحرب مستعرة في العراق سنة ١٩١٥ حدثت معركة كبيرة بين جنودنا وفرسان العرب وقد اخبرني أحد الضباط بعد ذلك انهم لما جمعوا قتلى العرب ليدفنوهم وجدوا ثلثهم من النساء

***

لما كنت في الشتاء الماضي في بلاد الحبشة جاءني شيخ القرية التي كنت فيها وانا اتناول طعام الصباح وقال لي : هنا امرأة هرست يدها آلة لتداويها فقمت افتش في صندوق الادوية الذي معي عن رقادة وصبغة اليود أو الحامض اليود ودخلت واخرجت يدها من ازارها واذا اصابعها مهروسة كلها هرساً فدهشت اشد الدهشة اما هي فلم يظهر عليها انها كانت تشعر باقل ألم

عدم النوم يميت

اتمّ طائفة من الباحثين في المدرسة الطبية بجامعة وسكنصن سلسلة من التجارب اثبتوا فيها ان استمرار عدم النوم يتسبب باحياء حيوي شديد ثم بحدث الوفاة . فقد اخذوا بعض الحيوانات ووضعوها في اقفاص مستمرة الدوران فلم تستطع ان تنام فيها ثم فحصوا انسجتها فوجدوا ان خلايا بعض المواد الحيوية اللازمة لبناء الجسم قلّت فيها قلّة ظاهرة ثم اندثرت فحصلت الوفاة . وقبل اندثارها كان جسم الحيوان يصاب بحمى فيسرع النبض ويعسر التنفس

باب الزراعة

مناطق الارض وخصائصها

الوجه القبلي

وهو قسمان الاول جنوبي ويعرف بمصر العليا ويشمل مديريات اسوان وقنا وجرجا واسيوط واكثرها الآن من ارض الحياض. والثاني شمالي ويعرف بمصر الوسطى ويشمل مديريات المنيا وبني سويف والجيزة واكثر ارضها رواتب وتعرف هنالك بارض المشروعات. اما الفيوم فستذكر على حدة

وكل ارض الوجه القبلي بقسميه من الارض العالية الزاكية الخصب والزرع الا قيلاً في القسم الثاني ارضهُ ضعيفة

ومن اشهر ما يجود في ارضه الرواتب القصب والقطن الاسمر (الصعيدي) الشموني وزاجوراه ثم البصل المسقاوي والبطي في نوعي ارضه الرواتب والملق. اما الاقطان البيضاء الناعمة كالسكالاريدس ونحوه فتفقد جودتها اذا زرعت فيه

وتكثر فيه كروم النخل واباريج الحمام ومن منتجاته الجيدة السمن (البتلي) واللحوم لاسيما الضأن منها

الفيوم

وان عدَّت من شمالي الوجه القبلي لكنها منعزلة عنهُ اذ هي كواحة بصحراء ليبيا يصلها من الجنوب بارض بني سويف مجاز ضيق من الارض يشقهُ البحر اليوسفي ومنهُ تروى ارض الفيوم

وبعد ذلك المجاز تتسع وتتفرج ارض الفيوم اتساعاً كثيراً الى ان تنتهي الى بحيرة قارون وفيها تصب مصارفها كلها وتعرف هذه البحيرة هناك بالبركة فيقال بركة قارون

وكل ارضها الزراعية من الارض الرواتب وجنوبها كشمالي الوجه القبلي من حيث زكاء الخصب والزرع. اما اطرافها القريبة من البحيرة فكأرض برادي الدلتا من حيث ملوحتها وقلة عمرانها

وتفترق الفيوم عن غيرها فيما يأتي :

اولاً انها بطبيعة تكوينها كثيرة الانحدار فان منسوب الفيضان عند قناطر اللاهون على البحر اليوسفي حيث يدخل الماء اليها نحو ٢٧٫٥٠ متراً فوق سطح البحر الابيض المتوسط ومنسوب بحيرة قارون الآن نحو ٤٥ متراً تحت سطحه والمسافة من القناطر الى البحيرة نحو ٤٠ كيلو متراً فمتوسط الانحدار اذاً في الكيلو متر الواحد ١٫٨٠ متراً ولكن الانحدار يبدأ قليلاً فمن اللاهون الى مدينة الفيوم (عاصمة مديرية الفيوم) ١٨ كيلو متراً كانحدار الوجه القبلي او نحو ٣٠ سنتمتراً في الكيلو متر الواحد ومن مدينة الفيوم الى خط يمتد من جرزا وبمر بطامية وكفر محفوظ وسنورس وسنهور وابو كساه وتصر الجبالي والمسافة ١٣ كيلو متراً يبلغ متوسطهُ متراً واحداً في الكيلو متر الواحد ومن هذا الخط الى بحيرة قارون والمسافة نحو ٩ كيلو مترات يشتد الانحدار ويصير متوسطهُ نحو ستة امتار في الكيلو متر الواحد والارض المجاورة للبحيرة ذاتها يتضاعف انحدارها عن ذلك حتى يبلغ في بعضها بضعة عشر متراً في الكيلو متر الواحد كما انهُ في جهات تتخلل المسافات الآنفة الذكر يعلو جزء من الارض عما يجاورهُ بضعة امتار كما يشاهد في ابو كساه وفيديمين مثلاً

وبسبب ذلك الانحدار :

(١) صار الري بالراحة سهلاً وداعياً مهما كان منسوب الماء واطياً الا قليلاً في جنوبي الفيوم الذي يحتاج الى الري بالآلة احياناً وكذلك سهل الصرف كلهُ بالراحة في الجهات المحتاجة الى الصرف الصناعي وهي الجهات الشمالية من هذا الاقليم او اطرافهُ القريبة من البحيرة

(٢) يمكن ادارة بعض الآلات بقوة هدر الماء كالسواقي المائية وطواحين الهدر ودواليب الماء والنور الخ

(٣) يصعب تسوية التربة في قطع مستطيلة (موارس) الاستطالة المعتادة في الوجه البحري مثلاً ولذلك تصغر الموارس وتقسم خصوصاً في الجهات البحرية الى اجزاء تعرف بالجرب واحدها جربة وتسوى كل جربة وحدها فتعلو عما يليها وهكذا بالتدريج وذلك لتسهيل التقصيب (التجريف)

(٤) صارت عملية التجريف (التقصيب) هناك من العمليات الزراعية المعتادة في خدمة الارض لكثير من الزروع لاسيما في الجهات البحرية منها وهي الاكثر انحداراً

(٥) يكثر ضرر الماء لمجاريه وللارض حالَ الري . ولملافاة ذلك يستكثر من عمل الاربطة في مجاري الري ومن تجريف (تقصيب) الارض وتقويتها جسور موارسها وجسرها وتقوية فتحات ومصبات الماء فيها بالدقسوم واحياناً يكتسل من الطين الحرس في المنصات الصغيرة جداً

ثانياً لكثرة ارتفاعها عن البحيرة مع كثرة انحدارها يسرع:

(١) غيض الماء في ثراها وانحدارهِ الى البحيرة ولذلك فان ماء نزّها (الماء الارضي) يظل منخفضاً كثيراً عن التربة فتبقى جافة حتى في الارض الواطية عما يجاورها ولا مصرف بينها ولا يستثنى من هذا الا الارض القريبة من البحيرة لقلة ارتفاعها والارض الرملية اذا كانت هي العالية لسرعة سريان الماء منها الى الارض الواطية المجاورة لها واذاً فلا بد من المصارف لحماية الارض الواطية من رشح الارض العالية لاسيما اذا كانت هذه ذات تربة خفيفة صفراء او رملية

(٢) محاجتها للري المتقارب ولذلك امتازت مناوباتها بجعل ايام البطالة مساوية لايام الادارة بينما في غيرها تكون ضعفها وجعل مدة الجفاف الشتوي ٣٠ يوماً بدل ٤٠ يوماً في غيرها وسيأتي بعد كلام عن قلة الماء فيها

ثالثاً امتازت :

(١) بكثرة بساتين الفاكهة بها كالتين البرشومي وقد اشتهرت بزراعة دار الرماد ضواحي مدينة الفيوم ويقال له هناك التين الرمادي وهو التين الفيومي في القاهرة — والعنب وقد اشتهرت بزراعته ابو كساه . والليمون والزيتون واشتهرت بزراعتها فيدمين والبرتقال بنوعيه البلدي واليوسفي واشتهرت بزراعته طهار — هذا عدا سائر الفواكه كالتين الشوكي والخوخ والتفاح والرمان

(٢) يصنف من الدجاج يعرف هناك بالبيجاوي اختصت به دار الرماد ويعرف في غير الفيوم بالدجاج الفيومي تمييزاً له عن الدجاج البلدي المعتاد

(٣) بوجود بعض المناظر الطبيعية الشبيهة بمناظر الوديان الضيقة الخصيبة المكسوة قيعانها وسيولها وربواتها بالزروع اليانعة كما يُرى في بعض اجزاء بحر سنور ومن اشهر مناظره عين السيلين « نسبة للبلد المجاورة لها » ينبثق منها الماء دواماً عذباً صافياً

رابعاً قلة نصيبها من الماء ماء الري كل فصول السنة ويقول بعض رجال الري ان السبب هو لان البحيرة مصرفها الوحيد تحدّه صحراء ليبيا المرتفعة ارتفاعاً عظيماً يتعذر معه

صرف ما يزيد من ماء البحيرة ويخشى اذا اعطى للفيوم نصيبها الكافي من الماء كثيرها بزيادة ماء صرفها وماءها الارضي المتحدر الى البحيرة فيطغي ماؤها على الاراضي الزراعية وينتقصها من اطرافها نقصاً يزداد مع توالي السنين ، فلذلك لا يعطى لها من الماء الا بقدر محدود لا يذهب منهُ الى البحيرة الا بمقدار ما يتبخر منها .

ولقلة نصيبها من الماء :

(١) لا يمكن زرع زراعة صيفية في اوفر مناطقها ريًّا الا في نحو ربع الزمام او ثلثهُ على الاكثر اذا كانت الارض سوداء حلوة .

(٢) اذا كانت الارض غير سوداء حلوة اي صفراء او رملية او ملحية فان الماء لا يكفي لزراعتها كلها فيضطر زراعها لتوير جزء منها واستعمال مائه لري باقيها .

(٣) لا يصرح بزراعة الارز الصيفي في ارضها السبخة ولا تميز ارضها الرملية بمناوبات خاصة ومعلوم ان ذلك ضدّ ما يحصل في الوجه البحري .

(٤) يصعب اصلاح الارض الموات وتحسين الارض الضعيفة ولتقليل هذه الصعوبة تُعطى مواسير ثلية لمسافة محدودة تبتدىء قبيل الفيضان التي وتنتهي في اتنائه واذاً يمكن ان يزرع بها مقدار محدود من الارز او الذرة لغسيلها .

(٥) ان بعض نصيبها من الماء يأتيها من ماء صرف شمالي الصعيد وهو بطيء الجال اقل صلاحية للري من ماء الترع وذلك مما يزيد ازمة الماء فيها .

(٦) ان الآبار الارتوازية لا تنفع فيها ولذلك يصعب تذليل صعوبات الري المشار اليها آنفاً .

خامساً يوزع الماء ماء الري فيها من هدّارات او اعتاب ذات فتحات يمرُّ منها الماء الى المساقي حراً بدون حجز بما دام الماء جارياً في الترعة . والمدار هو قنطرة ري عادية « موازنة » مبنية بالطوب الاحمر والفتحات مبنية بالاسمنت ليتعذر العبث بها وذات ارتفاع وسعة محسوبين بنسبة ما تحملهُ الترعة من الماء ونسبة الزمام المنتفع من كل فتحة والوحدة المعبرة هناك ان المتر الواحد سعة لـ ٢٠ فداناً فاذا كانت سعة الفتحة ٥ سنتمترات كان الزمام المنتفع منها ١٠٠ فدان وهكذا .

واذا كان بالمدار جملة فتحات تبعاً للفروع الآخذة منهُ يسمى (نَصْبة) وجمعها نُصُب . والمدارات والفتحات كلها موضوعة بحيث يمر منها الماء بكمية واحدة متفقة مع حالة الارض فلا يأخذ مدار او فتحة اكثر مما يأخذ الآخر وهذه هي المزية

الوحيدة النافعة في اعمال ري الفيوم

ويحسن ان نشير هنا :

(١) الى كيفية انتفاع الزراع بماء الري في سقي غيطانهم فانهُ لكثرة انحدار الارض وبالتالي كثرة انحدار مساقيها يتعذر على المنتفعين من مسقى واحد مشترك بينهم ان يفتحوا الماء منهُ لغيطانهم في وقت واحد لانهُ اذا انسياب الماء فيهِ بدون حجز انحدر الى الارض الواطية وقصر عن الارض العالية فلذلك يأخذ كل زارع نصيبهُ في وقت يُحجز لهُ الماء في انتائهِ وبيان ذلك في المثل الآتي

مسقى ينتفع منهُ ١٦٨ فدانًا ومدة المناوبة ٧ ايام اي ١٦٨ ساعة فلكل فدان ساعة واحدة فاذا كانت مدة المناوبة ٨ ايام او ١٩٢ ساعة كان ما يخص الفدان ساعة و٨ دقائق وكسور

(٢) بعض الزراع او الملاك الذين بارضهم بور كثير لا يزرعونهُ يبيعون ما يزيد عن حاجتهم من الماء الى جيرانهم الذين يزرعون كل اراضيهم ويبلغ ثمن نصيب الفدان من الماء في السنة الى جنيهين واحيانًا اكثر

هذا وقد اسهبت في ذكر خصائص ارض الفيوم لمباينتها للعهود لجمهور الزراع في سائر انحاء القطر طلحا احمد الالفي
زراعي عملي

خسائر فيضان المسيسبي

نشرت وزارة الزراعة الاميركية تقريرًا مسهبًا ابانت فيهِ فداحة الخسائر التي لحقت بالولايات الاميركية من فيضان المسيسبي. فقد جاء في هذا التقرير ان ١٨٤٤٣٠٠ فدان غمرت بالماء في ولاية اركنساس و١١١٢٢٠٠ فدان في ولاية لوزيانا و٨٦١٠٠٠ فدان في ولاية مسيسبي و٣٥٩٠٠٠ فدان في ولاية مسوري و١٩٥٠٠٠ فدان في ولاية تنيسي و٥٠٠٠٠ فدان في ولاية كنتكي. فمجموع ما غمر بماء الفيضان في هذه الولايات بلغت مساحتهُ ٧٠٠٠ ميل مربع. وقد سكان هذه الولايات من ماشيتهم ٢٥ الف حصان وخمسين الف بقرة وثور و١٤٨ الف خنزير و١٢٧٦٥٦٠ دجاجة وديكًا. ولا يزال ستون الفًا من سكان هذه الولايات يعتمد على مساعدة جمعية الصليب الاحمر في امور معيشتهم

اضرار تقريب الاشجار

يزرع اثنان بستانين في ارض واحدة فتخرج الاثمار من احدهما كبيرة جميلة تباع بثمن غال وتخرج من الثاني صغيرة دميمة لا تباع الا بثمن بخس . وقد يكون اعتناء البستانين واحداً ببستانيهما ولا يفرق البستان الواحد عن الآخر الا في ان اشجار الواحد كثيرة قريبة جدًّا يضعف بعضها بعضاً وتتنازع الغذاء فلا تجد منهُ كفافها واشجار الثاني بعيد بعضها عن بعض فتجد ما يكفيها من الغذاء فتحولهُ الى اثمار جيدة

زرع بعضهم ثلثمائة شجرة من التفاح في بستان فنست الاشجار جيداً واستغل منها غلة وافية ولكن لم يطل الامر حتى ضعفت وصغر ثمرها ولم تعُد غلتها تفي بنفقاتها . فاستشار بعض الخبيرين بالفلاحة فاشاروا عليهِ ان يقلع نصف الاشجار ويبقي النصف. فذهبت هذه الاشجار ضياعاً بما اخذتهُ من قوَّة الارض وما بُذل عليها من التعب وتأخر البستان سنتين اخريين حتى اصطلحت اشجارهُ الباقية وعادت الى نضارتها . فلو اقتصر على زرع مائة وخمسين شجرة من اول الامر لنجا من هذه الخسائر الكثيرة. ولعلَّ ما اجراهُ هذا البستاني يجريهِ كثيرون في هذه البلاد في زرع اليوسف افندي وفي بلاد الشام في زرع التوت وغيرهِ من الاشجار المثمرة فاتاءزى بين اثمار اليوسف افندي اثماراً صغيرة جدًّا دميمة المنظر تدلُّ على انها نتجت من اشجار ضعيفة واثماراً اخرى كبيرة الحجم طيبة الطعم يدلُّ منظرها على انها من حمل اشجار في غاية القوَّة والنضارة . وكذا اشجار التوت في سورية فان البساتين القديمة البعيدة الاشجار اشجارها كبيرة جداً وقضبانها ضاربة في عنان الجو . والبساتين القريبة الاشجار ، اشجارها صغيرة وقضبانها قصيرة . فعسى ان ينتبه البستانيون الى ذلك ويعلموا ان الطمع مضرٌّ في الزراعة كما في غيرها

اختلاف الزبل

إن زبل البقر اكثر نفعاً للارض من زبل الخيل ولو أُطعمت الخيل والبقر علفاً واحداً . والسبب في ذلك ان البقر تجتر طعامها فتمضغهُ جيداً وتهضمهُ جيداً بخلاف الخيل فانها لا تجترُّ طعامها فلا تمضغهُ جيداً ولا تهضمهُ جيداً ولذلك تخرج حبوب الشعير مع زبل الخيل سليمة وتنبت وتنمو كان الهضم لم يؤثر فيها

باب التقريظ والانتقاد

مجموعة خطب

محمد طلعت حرب بك — جمعها والتزم طبعها مطبعة مصر — صفحاتها ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير

هذه مجموعة نفيسة من الخطب في موضوعات اقتصادية ومالية خطيرة تهم كلَّ مصري تلتهب في صدره نار الغيرة على مصالح قومه واموالهم ويضن بها ان تسيطر عليها وتتصرف بها أيدي الاجانب. ولولا اتصال المطبعة التي جمعها وطبعتها بطلعت بك حرب وبنك مصر لصحَّ ان يجعل عنوانها « دستور مصر الاقتصادي » لان في هذه المجموعة من الآراء الخطيرة والاقوال الصائبة في مستقبل البلاد الاقتصادي وفي شؤون الزراعة والصناعة على إختلافها ما يصح ان يبنى عليه دستور يجري عليه رجال المال والاعمال في هذه البلاد. وقد اشار كاتب المقدمة الى ذلك في قوله: « ولما كانت هذه الخطب قيمة في ذاتها وكانت تعتبر في كثير من مناسباتها والوقائع الواردة فيها جزءاً من تاريخنا الاقتصادي والمالي في الوقت الحاضر، فضلاً عن انها تدل على ناحية من نواحي تفكير هذا المالي الكبير، فكّرت المطبعة في ان تجمع هذه الخطب في كتاب واحد حتى لا تعرّض للضياع والنسيان وكي يسهل الرجوع اليها لمن يشاء ان يستقصي اهم الحوادث والاخبار الخاصة ببنك مصر »

ونعود الى هذه المجموعة النفيسة في الجزء التالي فنقتطف منها من الاقوال والآراء ما يؤيد رأينا ورأي كاتب المقدمة

وقد ازدانت المجموعة بصور بديعة لعالي مدحت يكن باشا وطلعت حرب بك والدكتور فؤاد بك سلطان وغيرهم من اقطاب مصر الماليين الذين تعاونوا على النهوض ببنك مصر الى اعلى مرتبة بين البيوتات المالية، كما ازدانت بصور دار البنك الجديدة من الخارج والداخل

امراض النساء

تأليف الدكتور نجيب محفوظ — طبع بمطبعة المعارف — صفحاته ٣٨٠ مصور

الدكتور نجيب محفوظ استاذ فن الولادة وامراض النساء بكلية الطب المصرية والجراح الخاص بالولادة وامراض النساء بمستشفى قصر العيني ، فهو من مشهوري الاطباء المصريين الذي قرنوا العلم بالعمل وغرضهُ من وضع هذا الكتاب ان يضع امام الطلبة والاطباء وصفاً واضحاً للامراض النسائية وشرحاً وافياً لاساليب العلاج التي ثبت فضلها وتفوقها على غيرها من الاساليب . وقد عني عناية خاصة بمطالب التلميذ والطبيب المبتدىء فقرن وصف الحقائق والقواعد النظرية بوصف اساليب العلاج العملية التي يمارسها هو . ووضّح وصفهُ بصور كثيرة لبعض الآلات والعمليات الجراحية ولبعض اعضاء الجسم والسحنة

ويسرنا ان النسخة التي أُهديت الينا مجلدة تجليداً متيناً فيستطاع حفظها في المكتبات . والكتاب جدير بذلك لانهُ من المراجع الطبية التي يعتمد عليها

الروائع

سلسلة مباحث في الادب — ومنتخبات من اشهر اعلامه — تصنيف الاستاذ فؤاد افرام البستاني

الحلقة الاولى — علي بن ابي طالب ونهج البلاغة — طبعت بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت

قال الاستاذ البستاني في مقدمة الحلقة الاولى من هذه السلسلة ما يأتي :

« ما من سبب ينكر ان ناشئتنا تجهل الآداب العربية جهلاً تُلام عليهِ . على ان هذا الجهل ناتج عن خلوّ لغتنا من المعدّات المتوفرة في الآداب الغربية . ولا يخفى أن من اهمّ هذه المعدات فائدةً ، واخصبها نتاجاً ، كثرة الطبعات المدرسية . السهلة للآثار الادبية ، الرخص ثمنها ، مما يرغّب المتأدّب في الحصول عليها ، وقراءتها ، فالاستفادة منها . فاذا ما توفّر في لغتنا هذان الشرطان : طبعات مدرسية سهلة ، ورخص ثمن ، خطت آدابنا الى الامام خطوات

« ولما كانت هذه الآداب عزيزة علينا ، وخدمتها واجبة علينا ، رأينا ان نحقق هذا الامل . فعزمنا على طبع مختارات من روائع آدابنا ، طبعة مدرسية في اجزاء متتابعة تتخصص كل مؤلف او كل تأليف بمجلد صغير . متوسط القطع . جميل الطبع ، متين الورق . واضح الحرف . نقدّم عليهِ بحثاً انتقادياً في حياة المؤلف وآثاره وشخصيته

الادبية . مع تحليل للكتاب المطبوع . وتعاليق تحلى النصر عند اللزوم

«وتسهيلاً لاقتناء هذه السلسلة جعلنا ثمن النسخة خمسة غروش سورية او فرنكاً واحداً فقط »

اما الحلقة الاولى فخاصة بعلي بن ابي طالب ومنتخبات من كتابه نهج البلاغة وقد وقف المؤلف ٢٦٠ صفحة من صفحاتها على البحث في سيرة علي وخلافته ومقتطف من حياته العائلية وصفاته وآثاره الادبية من شعر ونثر وتحقيق في اصل نهج البلاغة

ومن الاقوال التي اختارها لهُ : اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان . واعجز منهُ من ضيّع من ظفر بهِ منهم

من نصب نفسهُ للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسهِ قبل تعليم غيرهِ وليكن تأديبهُ بسيرتهِ قبل تأديبهِ بلسانهِ . ومعلم نفسهِ ومؤدبها احق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم

اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع

ومن رجال الادب الذين عالجهم كما عالج علي بن ابي طالب: المهلهل وامرؤ القيس وابو العتاهية والمتنبي وابو فراس وابن بطوطة وابو العلاء والجاحظ وابن خلدون

مملكة الظلام

تأليف موريس مترلنك — ترجمة الدكتور نقولا فياض — نشرتها ادارة الهلال

موريس مترلنك من اشهر الكتاب والشعراء الاوربيين في هذا العصر . وُلد في البلجيك سنة ١٨٦٢ من اصل فلمنكي وبعد ما تلقى العلوم الثانوية وانتظم في سلك المحامين ثم ذهب الى باريس واتصل بزعماء المدرسة الرمزية في الادب الفرنسي . ولدى وفاة والده عاد الى البلجيك وانصرف الى النظم والتأليف . فنشر سنة ١٨٨٩ روايتين تلقاها الناقد الفرنسي ميربو بتنويه من الترحيب واطلق على صاحبهما لقب « شكسبير بلجيكي » فذاع صيتهُ . ولكنهُ بقي عاكفاً على التأليف فاصدر روايات تمثيلية نالت رواجاً كبيراً ودواوين اصدر ثمانية ومجموعات من رسائلهِ في موضوعات مختلفة

ومن اشهر كتبهِ كتاب اصدرهُ سنة ١٩٠١ اودعهُ « حياة النحل » كما شاهدها ودرسها بنفسهِ ومزج فيهِ العلم الطبيعي بالخيال والفلسفة . ومن هذا القبيل كتابهُ عن « النمل الابيض » الذي عني بنقلهِ الى العربية الدكتور فياض بعنوان « مملكة الظلام » واهدتهُ ادارة الهلال الى مشتركيها وقد قال الدكتور فياض في طريقة مترلنك ما يأتي:

«فهو من الذين لا يكتفون بدرس حياة الحشرات وطبائعها بل يفتح لها طريقاً الى قلبه وعواطفه فيتأثر بها ويستمد الوحي منها فتجيء مباحثهُ العلمية من قراءاته الذاتية اذ يلبسها ثوباً جميلاً من الخيال ويفرغ الحقيقة في قالب شعري ساحر بحيث يتناولها ذهن القارىء ايًّا كان دون كدّ او عناء»

ومع ان النقاد لا يرون ان قول ميربو السابق في مزلك صحيح بحذافيره الا انهم يكادون يجمعون على انهُ « نابغة لا شكَّ فيه ومظهر كبير من مظاهر القوة العقلية في القرن التاسع عشر» كما قال فيه كاميل موكلير

اليابان اليوم

انشأنا في مقتطف نوفمبر الماضي مقالة عن صحافة اليابان بوحي بلغتهُ من الرقي في سرعة جمع الاخبار ونشرها وسعة انتشار الجرائد وشدة الاقبال عليها واتساع نطاق الاعمال فيها وكثرة ربحها . وقد اهدى الينا جناب قنصل اليابان في الاسكندرية نسخة من ملحق انكليزي لجريدة طوكيو اساهي وهي احدى الجرائد الاربع الكبرى في اليابان عنوانهُ « اليابان اليوم » جُمع فيه كل ما يرغب القراء في معرفته عن احوال اليابان في سنة ١٩٢٧ من سياسية وصناعية وزراعية وعلمية وفنية . والمقالات مكتوبة باقلام بليغة وقد طبعت كلها مع الصور على مبدإ الروتوغرافور وغلفت بغلاف ملوَّن طبع أتقن طبع وتقع في ٢٣٢ صفحة من ضعف حجم المقتطف وفيها كثير من الاعلانات التي يستدلّ منها على سلامة هذه الامة الناهضة من المقام الرفيع بين ممالك الارض في كل مناحي العمران

مصر الحديثة — مجلة عمومية مصوَّرة تصدر مرة في الشهر موقتاً يتولى رآسة تحريرها الاستاذ توفيق افندي البازجي الكاتب المشهور . وقد صدر منها عددان حافلان بالصور المتقنة الطبع ومقالات نفيسة في موضوعات قريبة من عقول القراء ونفوسهم . وكل عدد منها يحتوي على ٨٠ صفحة كبيرة متقنة الطبع . ويتخلل الصور والمقالات اعلانات لبعض المحال التجارية المشهورة . ويباع العدد منها بقرش صاغ واحد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول السنة بالمقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويبين حروفا تعرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) ترجمة كتب سبنسر

الكويت. مستفيد. هل ترجمت كتب الفيلسوف سبنسر وكيف يمكن الحصول عليها . واذا لم تترجم كيف يمكن الحصول على اصلها الانكليزي

ج . لخصنا مبادئ فلسفة سبنسر في المقتطف بعد وفاته ، ونشرنا سنة ١٨٩٧ ملخصاً لكتابه في علم الاجتماع بقلم نسيم افندي برباري . ونذكر ان كتابهُ في التعليم ترجم في مصر منذ بضع سنين ولعلَّ مكتبة العرب بالفجالة بمصر تستطيع ان تهديكم الى نسخة منهُ . وللحصول على الاصل الانكليزي يجب ان تكتبوا الى احد باعة الكتب بلندن في ذلك وترسلوا اليه مقدماً مبلغاً من المال على الحساب فيرسل اليكم ما تريدون . ونحن نشير عليكم ان تتعاملوا مع

B. F. Stevens Brown & Co.
4 Trafalgar Square London

ولا يخفى عليكم ان مؤلفات سبنسر كثيرة اشهرها المجلدات التي ركبها فيما اطلق عليهِ « الفلسفة التركيبية » وهي مجلد في المبادئ الاولية ومجلدان في البيولوجيا ومجلدان في السيكولوجيا وثلاثة مجلدات في السوسيولوجيا ومجلدان في الآداب

(٢) التقدم في السن والأصطياف في اعالي الجبال

بيروت . هل تضرُّ الرجلَ البالغ سن الستين عضةُ الصيف في الجبال التي تعلو عن سطح البحر اكثر من ٧٠٠ متر اذا كان صحيح الجسم لا يشكو من علة في القلب

ج . يفضَّل ألاَّ يفعل ذلك ، لان الانسان متى تقدم في السن وبلغ الستين من العمر يصاب بشيء من تصلب الشرايين يكثر او يقل حسب حالته الصحية فيزداد ضغط دمه . وكلما ارتفع الانسان في الجبال خف ضغط الهواء على جسمه من الخارج

فيزداد ضغط الدم على جدران اوعيته الدموية. وقد يسبب اجتماع الضغط الناتج عن تصلب الشرايين والضغط الناتج عن الارتفاع انفجار وعاء من الاوعية الدموية وهذا ما يحاذره الاطباء

(٣) سبب الضباب

ومنه . ما هو سبب الضباب الذي يتكاثف في الجبال

ج. الهواء لا يخلو من بخار الماء لان حرارة الشمس تفعل بالمياه التي في البحار والانهار والنباتات فيصعد جانب منها بخاراً يمتزج بالهواء . ودقائق البخار صغيرة لا ترى لصغرها وتكون الحرارة قد ابعدت بعضها عن بعض فاذا بردت دنا بعضها من بعض فصار منها ذرات كبيرة نوعاً يكفي حجبها عكس النور وتفريقه فتصير ترى بالنور المنعكس منها او بحجبها له وهي الضباب. ويحدث مثل ذلك في فم كل انسان في الشتاء ذلك انا حينما نتنفس زفيراً اي حينما نخرج النفس من افواهنا يكون مع الهواء الذي نخرجه شيء من البخار وهو لا يرى الا اذا برد الهواء فاذا كان الفصل شتاء والهواء بارداً رأينا النفس خارجاً كالبخار الذي يخرج من انبوب ابريق يغلي على النار

وقد اثبت احد الاساتذة ان الضباب لا يتكون من البخار ولو برد الا اذا كان في الهواء شيء من الغبار ثم اثبت غيره ان دقائق البخار لا تجتمع حول ذرات الغبار ما لم تكن تلك الذرات مما يمتص الماء كذرات الملح وذرات بعض الاتربة فتى امتصت بعض دقائق البخار سهل على سائر دقائقه الاجتماع حولها

(٤) المادة وهبوط درجة الحرارة

البصرة . لماذا تفقد المواد تفاعلها الكيماوي عند تبريدها بالهواء السائل الى درجة منخفضة جداً مثل درجة ٢٣٠ تحت الصفر

ج . اثبت العلماء ان المادة مبنية من دقائق وان الدقائق مبنية من جواهر فردة وان الجواهر الفردة مبنية من الكترونات (كهارب) وبروتونات . واثبتوا ايضاً ان دقائق المادة وجواهرها في حركة دائمة وان بين الدقيقة والاخرى وبين الجوهر والجوهر فراغاً يملؤه الاثير. وهذا الفضاء كبير في الغازات قليل في الجوامد بين بين في السوائل. وهو يكثر اذا ارتفعت حرارة المادة ويقل اذا انخفضت. وقد ثبت انه اذا بلغت درجة الحرارة ٢٧٣° تحت الصفر وقفت الدقائق عن الحركة وبطل التفاعل الكيماوي هو اتحاد جواهر العنصر الواحد بجواهر العنصر الآخر فالقابلية لهذا الاتحاد تقل حتماً كلما بردت المادة وقلت حركة دقائقه

وحتى الآن لم يتمكن العلماء من تبريد مادة من المواد الى درجة ٢٧٣ تحت الصفر وهي الدرجة المعروفة بالصفر المطلق ولكن احدهم تمكن من تجميد غاز الهليوم تحت ضغط شديد فوصل الى درجة ٢٧١ ونصف درجة تحت الصفر وهذه ادنى حرارة بلغها العلماء

(٥) دخول المسيحية الى القطر المصري

الاسكندرية . مشترك . كيف دخل الدين المسيحي مصر

ج . المظنون ان مرقس الرسول هو اول من دخل بلاد مصر وبشر فيها بالدين المسيحي وانشأ بالاسكندرية اول كنيسة مسيحية في القرن الاول من التاريخ المسيحي . وكانت الاسكندرية حينئذ مركزاً لعلوم اليونان وكعبة يقصدها اهل العلم والمعارف من مختلف الاقطار فلما دخل الدين المسيحي ان دخل اليها حتى انتشر فيها وانبثّ منها الى بلاد مصر كلها وقام في الاسكندرية رجال يضرب المثل في علمهم وديانتهم وادبهم وتقواهم كاوريجنس واكليمنضس واثناسيوس وغيرهم

(٦) دخول الاسلام الى القطر المصري

ومنه . كيف دخل الاسلام الى القطر المصري أبحرب ام بدون حرب ومن كان متسلطاً عليها حينئذ

ج . كان متسلطاً على مصر رجل قبطي اسمه يوحنا المقوقس من قبل قياصرة القسطنطينية فلما فرغ عمرو بن العاص من الشام اتى مصر وكانت قصبتها منف وهي ممفيس القديمة وكانت حصينة جداً فحاصرها سنة وسبعة اشهر وفتحها عنوة واقتداراً وقيل بمخابرة المقوقس ثم عاد الى الاسكندرية وافتتحها عنوة واقتداراً بعد حصار دام اربعة عشر شهراً فاستولى على القطر كله

(٧) كثرة الموت في الليل

لبنان . م . ع . لماذا يكثر الموت في الليل ولاسيما في الثلاثة الارباع الاخيرة منه

ج . قد علم بالبحث الطويل ان الوفيات في الساعة الاولى بعد نصف الليل اقل من معدل الموت في اية ساعة اخرى بثلاثة وثمانين في المائة . والوفيات بين الساعة الثالثة والسادسة بعد نصف الليل اكثر من المعدل بثلاثة وعشرين ونصف في المائة . وبين الساعة الثالثة والساعة السابعة بعد الظهر اكثر من المعدل بخمسة ونصف في المائة . وخلاصة هذه المباحث تدل على ان اكثر الموت يقع بين الساعة الثالثة والساعة السادسة صباحاً واقله في منتصف النهار . اما سبب كثرة الموت في بعض الساعات وقلته في البعض الآخر فغير معلوم . ولعل كثرته في الساعات التي تسبق الفجر عائد الى قلة حيوية الجسم حينئذ فيضعف عن مقاومة مرض يستطيع مقاومته

حين يكون الجسم متيبساً وحيويته على اشدها

(٨) اول من انشأ البريد

ومنهُ . قرأنا كثيراً عن احوال المصريين القدماء ولكننا لم نجد ذكراً للبريد فهل كان للبريد استعمال عندهم

ج . لم يكن البريد معروفاً عند قدماء المصريين واول من انشأهُ داريوس الكبير ملك فارس

(٩) علاج الشمس

نيويورك. سائل. انا واولادي نريد ان نتعالج بتعريض اجسامنا لاشعة الشمس من غير ان نتعرض لخطر ما . فاذا يجب ان نفعل أنعرض الجسم كلهُ ام نبدأ اولاً بتعريض عضو من اعضائهِ ؟ وهل تحمى الجلدة ما من تعريض الحلق واللسان والاسنان الى نور الشمس

ج . الخطة المتبعة الآن في التعرض لاشعة الشمس تقوم بتعريض الرجلين خمس دقائق في اليوم الاول ثم تعرض الرجلان عشر دقائق في اليوم الثاني والفخذان خمس دقائق. وفي اليوم الثالث تعرض الرجلان ربع ساعة والفخذان عشر دقائق والبطن خمس دقائق . وفي اليوم الرابع تعرض الرجلان ثلث ساعة والفخذان ربع ساعة والبطن عشر دقائق والصدر خمس دقائق . ثم يعرض الرأس رويداً رويداً حتى تصير مدة تعريض الرجلين نحو ٣٥٠ دقيقة

ولا نسلم بعد شيئاً بمنع تعريض اللثة والحلق والاسنان للشمس بضع دقائق كل يوم ولكننا لم نطلع على بحث طبي اثبت فائدتهُ . وفي بدء المعالجة لنور الشمس يفضل التعرض لها في الصباح او بعد الظهر حين تكون اشعة الشمس متجرفة. والظاهر ان التعرض لنور الشمس المستطير كافٍ من حيث التأثر بالاشعة التي فوق البنفسجي بشرط ألا يمرّ النور بالواح من الزجاج العادي لان الواح الزجاج العادي تحجب الاشعة التي فوق البنفسجي . ونفضل ان تستشيروا طبيباً في ذلك

(١٠) في الاشجار

البحرين. مستفيد. اي انواع الاشجار انفع للانسان

ج . كل الانواع على حدٍّ سوى ولكن بعض الاشجار يفرز مفرزات عطرية يطيب بها الهواء كالارز والصنوبر وبعضها لا يفرز شيئاً من ذلك وهذا متعلق بالشجر لا بفيئهِ

(١١) مستنبط الكتابة

ومنهُ . من استنبط الكتابة اولاً

ج. المعروف حتى الآن ان الفينيقيين اي سكان سواحل سورية هم اول من استنبط الكتابة الحقيقية والراجح انهم توصلوا الى ذلك من رؤيتهم الكتابات

المصرية القديمة . وكتابة الصينيين والاشوريين والمصريين القدماء اقدم من الكتابة الفينيقية ولكنها لم تكن كتابة بالمعنى الذي نفهمهُ الآن بل اشارات يستدلُّ بها على الألفاظ والمعاني . أما الفينيقيون فهم اول من حلل كلمات اللغة الى نحو عشرين صوتاً ووضع لكل صوت علامة خاصة فصارت الكلمات تتألف من هذه العلامات فقط

(١٢) اختراع البارود

ومنهُ . من اول من اخترع البارود

ج . عرف الصينيون تركيب البارود قبل التاريخ المسيحي بقرون كثيرة واستعملتهُ امم المشرق في قذف المقذوفات منذ عهد طويل . والظاهر ان العرب كانوا يستعملونهُ احياناً لقذف القنابل وادخلوا استعمالهُ معهم الى اوربا حينما افتتحوا الاندلس وملكوها . ثم تدرج الناس في تنويع آلات القذف حتى صنعوا منها شيئاً يشبه البارود في اواخر القرن الخامس عشر

باب الاخبار العلمية

مقتطف دسمبر

افتتحنا مقتطف هذا الشهر بمقالة علمية عنوانها « نقل القوة الكهربائية لاسلكيًا » وفيها وصف لاحدث التجارب التي تجوب في هذا الصدد وتؤذن بفاتحة عصر جديد في استعمال القوة الكهربائية اللاسلكية لقضاء مآرب الناس

ويليها وصف للرحلة الجوية التي رحلناها في الصيف الماضي بين باريس ولندن ذهاباً وايباباً على متن طيارة من طيارات شركة المواصلات الهوائية الامبراطورية . وفيها اربع صور للطيارة من الخارج والداخل

وبعدهُ مقالة لمؤرخ محقق وكاتب بليغ عنوانها «الرحلة الملكية الادورية: فوائدها العلمية والعمرانية »

ثم رسالة للمرحوم الدكتور صروف لم تنشر قبلاً موضوعها « ما يجب على المعلم » فيها خلاصة اختباره وبحثهِ في موضوع التعليم والتهذيب مدة ٥٥ سنة

فجانب آخر من البحث المتنع الذي

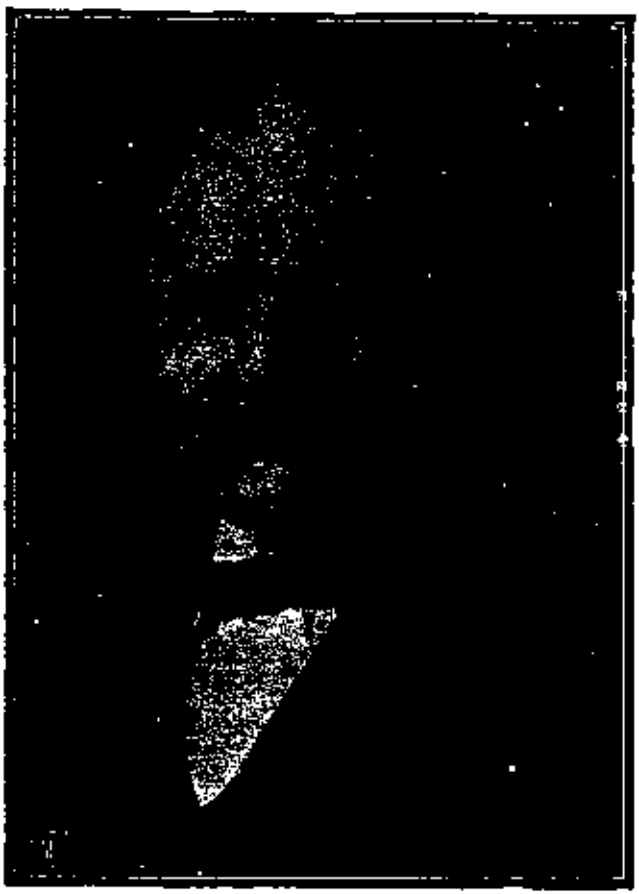

العالم الاسوجي سفنه ارهنيوس

ينشئهُ النائب المحترم الاستاذ صبري ابو علم في سيرة المغفور لهُ سعد زغلول باشا. وهذا الجانب يتناول طرفاً من سيرة الزعيم الجليل في الثورة العرابية والمحاماة والقضاء. فقالة عن شكسبير ودلائل شهرته وتبوغه ولمحة من نشأته الاولى وفيها صورتان احداهما صورة منقولة عن طبعة قديمة لكتبه طبعت سنة ١٦٢٣ والاخرى صورة نصب لهُ اقيم في كنيسة الثالوث بستراتفورد مسقط رأسه

ثم كلام عمراني اقتصادي عنوانهُ « متى يجوع العالم ومتى تضيق الارض بسكانها » نقلهُ عن الانكليزية الاستاذ نجيب نصار

وبعدهُ فصل تاريخي نفيس يدور على الروابط التاريخية القديمة بين مصر وسورية للمؤرخ المشهور الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

ويليه جانب آخر من الخطبة النفيسة التي خطبها السر ارثر كيث في مجمع تقدم العلوم البريطاني وعنوانها «مذهب دارون في الميزان» وفيه صورتا دارون ولامارك

وبعدهُ مقالة عنوانها «الحبشة تستيقظ» تحتوي على لمحة جغرافية ونظرة في تاريخها وعمرانها واوصاف بحيرة صانا التي دارت عليها في اوائل الشهر الماضي ضجة كبيرة في الاندية السياسية والمالية في نيويورك ولندن والقاهرة. وفي المقالة خريطة لبلاد الحبشة والبلدان المجاورة لها وصورتا اثرين مصريين وجدا ببلدة اكسوم فيها

ثم فصل لصاحب السعادة عثمان مرتضى باشا عنوانهِ « التباين الخلقي واثر العوامل الباطنية الموروثة والعوامل الطارئة على الانسان »

فبحث ادبي لغوي عنوانهُ الاعتدال للكاتب المشهور الاستاذ اسعد خليل داغر

وبعدهُ مقالة علمية فلسفية موضوعها « أفي الاثير سر الحياة والعقل » تحتوي على آراء السر اوليفر لدج لخصها من كتابهِ الذي عنوانهُ « الاثير والحقيقة » الاستاذ حنا خباز

ثم حديث مندوب من قلم تحرير المقتطف مع مدير جوقة شكسبير الانكليزية بمصر عن اثر التمثيل في التعليم والتمدين وخلفاء شكسبير في هذا العصر في مختلف الامم الغربية

وفي باب المراسلة مقالة للاستاذ حسين لبيب ناظر مدرسة النحاسين توجه اليها نظر القائمين بامور المعارف في البلدان الشرقية عنوانها « وجهة التعليم العام »

وفي باب تدبير المنزل مقالة صحية للدكتور شحاتة شيري واخرى طبية عنوانها شجاعة النساء ملخصة عن روزيتا فوربس

وفي باب الاخبار العلمية سيرة العالم الكيماوي الاسوجي سفنته ارهينوس وصورتهُ

اوجه القمر في دسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٢	٤	١٥	صباحاً
البدر	٨	٧	٣٢	مساء
الربع الاخير	١٦	٢	٤	صباحاً
الهلال	٢٤	٦	١٣	«
الربع الاول	٣١	١	٢٢	مساء
الحضيض	٧	٣	٠٠	صباحاً
الاوج	١٩	٠	٢٤	صباحاً

السيارات في دسمبر

عطارد والزهرة والمريخ كواكب مساء. المشتري. يغرب نحو منتصف الليل. زحل لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في اواخره.

سفنته ارهينيوس
SVANTE ARRHENIUS

عالم اسوجي من اكبر علماء الكيمياء والطبيعيات في هذا العصر. وسيرته كسير العلماء موجزة تتلخص في انهُ وُلد في ١٩ فبراير سنة ١٨٥٩ في بلدة تُسُلس وجك قرب مدينة أبسالا المشهورة بجامعتها التاريخية وكان ابوهُ مهندساً ولعلَّ اهتمام ابيهِ بالمسائل العلمية من هندسية وطبيعية وما اليها بثَّت فيهِ الميل الى الرياضيات والعلوم الطبيعية فلما أخذ يتلقى العلوم في جامعة ابسالا تفوَّق فيها على الاقران في العلوم الرياضية والطبيعية والكيماوية والبيولوجية. ثم انتقل الى جامعة استوكهلم فبقي فيها ثلاث سنوات من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٤ عاد بعدها الى ابسالا لتدريس الكيمياء الطبيعية. وأتيحت لهُ فرصة الارتحال في اوربا فزار مدرسة زيتا البوليتكنيكية واشتغل مع الاستاذ اوستولد بالمباحث الطبيعية ثم زار جامعات ووزبرج وغراتس وامستردام وليبزج. وعُرض عليهِ سنة ١٨٩١ منصب استاذ في جامعة غسن فرفضهُ مؤثراً التدريس في احدى مدارس بلادهِ فبيَّن محاضراً في الطبيعيات في جامعة استوكهلم ثم استاذاً كاملاً فيها وسنة ١٨٩٥ جعل مديراً لها. وعُرض عليهِ سنة ١٩٠٥ منصب استاذ في برلين يتصل بهِ معمل طبيعي وكيماوي مجهز بكل وسائل البحث والامتحان فاعتذر عن قبولهِ وعيَّن في السنة ذاتها مديراً لمعهد نوبل في استوكهلم فبقي فيهِ الى حين وفاتهِ في ٢٥ اكتوبر الماضي. وسنة ١٩٠٢ اهدت اليهِ الجمعية الملكية بلندن وسام دايفي ثم انتخب عضواً فيها سنة ١٩١٠. وسنة ١٩٠٣ منح جائزة نوبل للطبيعيات. وقد اهدت اليهِ اكبر جمعيات العالم أعلى القابها العلمية منها جامعات هيدلبرج

وغروتجن وليبزج بلنايا واوسلو بلاد نروج واكسفرد وكمبردج وبرمنغهام في انكلترا وانتخب عضو شرف في كثير من الجمعيات العلمية في اوربا واميركا

كان ارهينيوس لا يزال طالباً في جامعة استوكهلم لما كشف مبدأ الانحلال الكهربائي في مذوبات المواد التي توصل الكهربائية Ionization وذكره في رسالته التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه فلم يسلم به اساتيذهُ ولكنهُ وجد انصاراً بين علماء الطبيعة في انحاء اوربا منهم فانت هف واوستولد . وقد قيل ان هؤلاء الثلاثة — اي ارهينيوس وفانت هف واوستولد — هم واضعو الكيمياء الطبيعية . وكان لهذا المذهب الجديد اثر بعيد في تعليل بعض الافعال الكيماوية والطبيعية تعليلاً معقولاً بسيطاً وفتح الباب امام الباحثين لكشف كثير من حقائق التركيب الكيماوي وتصرف المركبات المختلفة لدى انحلالها في الماء او غيره من المذوبات فقالت التيمس في ذلك يوم نعتهُ : كان لمذهبه آثار بعيدة المدى في كل فرع من فروع الكيمياء لانهُ جلا كثيراً من الغوامض ومهد السبيل لمكتشفات جديدة . ولم ينحصر اثرهُ في الكيمياء بل تعداها الى الفسيولوجيا وما اليها .

حداد على الدكتور صروف
في البرازيل

جاءنا من سكرتير جمعية المتخرجين من جامعة بيروت الاميركية المقيمين بالبرازيل ما يأتي :-

« في بدء الجلسة العمومية التي عقدتها جمعيتنا يوم الخميس الواقع في العشرين من اكتوبر — وهي اول جلسة قانونية عقدت بعد وفاة الفقيد الجليل — طلب رئيس الجمعية الدكتور سعيد ابو جوده إيقاف العمل مدة خمس دقائق حداداً على كبير المتخرجين العلامة الدكتور يعقوب صروف قائلاً إن امنا الجامعة الاميركية في بيروت تباهي به دور العلم في الشرق والغرب وان الوف المتخرجين من تلك الجامعة الشهيرة المنتشرين في سائر اقطار العالم يذكرون اسم الفقيد الكبير بمزيد الاحترام والفخر والاعجاب لما اشتهر عنهُ من حبه العظيم للعلم الصحيح وما بحل به من الادب الجم والفضل الغزير وما افاد به الشرق من الفوائد الخالدة الذكر والدائمة الاثر

« ثم نهض بعدهُ الاديب توفيق افندي قربان فارتجل تأبيناً بليغاً شرح به اثر المقتطف ومحرر المقتطف الدكتور صروف في سبيل العلوم الطبيعية بوجه

خاص قائلاً انهُ لسج على منوال الفيلسوف باكون في حثهِ قومهُ على درس هذه العلوم لمعرفة اسرار الطبيعة واستخدام قواها في نفع بني الانسان وانماء ثروتهم وازدياد قوامهم المادية التي عليها المعول وخصوصاً في عصرنا هذا عصر تنازع البقاء وبقاء الاقوى . وتلك هي حاجة الشرق الكبرى في الزمن الحاضر

« وفي ختام تأبينهِ البليغ نبَّه استدعاء الرئيس الدكتور ابو جرم فوافق الحضور باجماع الاصوات على هذا الطلب واوقفت الجلسة خمس دقائق حداداً »

ونحن بلسان المقتطف نشكر لرئيس الجمعية ولجميع اعضائها عنايتهم بتكريم ذكر العلماء وتخليد اسمائهم رفعاً لمقام العلم وتشجيعاً للمشتغلين بهِ

جوائز نوبل

منحت جائزة نوبل للطب والفسيولوجيا عن سنة ١٩٢٦ للاستاذ جوهانس فيبجر من اساتذة جامعة كوبنهاغن وعن سنة ١٩٢٧ للاستاذ يوليوس فاغنر فن يورغ من اساتذة جامعة فينا . وقد اشتهر الاول بتجاربهِ في سرطان الجرذان . والثاني بابتكار علاج الملاريا في حالات الشلل العام الذي يصيب المتوهين

ومنحت جائزة نوبل للآداب عن سنة ١٩٢٦ للكاتبة الايطالية جراتزيا ديلده وهي السيدة الثانية التي نالت جائزة نوبل للآداب سبقها الى هذا الشرف الكاتبة الاسوجية سلمى لجرلف . ولا يخفى ان مدام كوري نالت مع زوجها جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٠٣

ومنحت جائزة نوبل للطبيعيات عن سنة ١٩٢٧ للاستاذ كنن احد اساتذة جامعة شيكاغو وللاستاذ ولسن احد اساتذة كمبردج وكلاهما من المشتغلين بمسائل بناء المادة الكهربائي . وقد لقبنا الاستاذ كنن في مجمع تقدم العلوم البريطاني بترنتو سنة ١٩٢٤ وحضرنا خطبة لهُ خطبها في المذهب الجديد في ماهية النور

اما جائزة الكيمياء عن سنة ١٩٢٧ فلم تمنح

الطب والجراحة في مصر القديمة

نشر الدكتور ورن دوسن مقالة ممتعة بهذا الموضوع في مجلة تقدم العلم قال فيها ان بحثهُ المستفيض في النصوص المصرية القديمة دلهُ على ان ما يعرف عن معارف المصريين الطبية ليس سوى اقوال جامة بعضها خطأ لانهُ بني على قراءات مخطوءة لنصوص المصرية القديمة ثم تناقلها الكتاب في الخمسين السنة الاخيرة . واشهر القراطيس الطبية المصرية هو قرطاس

ايبرس ويظهر منهُ ان الطب المصري كان مبنيًا على السحر والشعوذة كما يتضح من ورود كلمات تدل على ان قصد الطبيب هو « طرد » المرض ومن صنع بعض العقاقير الطبية كريهة الطعم يكرهُ روح المرض طعمها فيطرد . اما معارفهم الجراحية كما يظهر من قرطاس ادون سمث فكانت مبنية على علم دقيق يعود الفضل فيهِ الى براعتهم في التحنيط لان ممارسة فنون التحنيط علمتهم حقائق تشريح المقابلة . وقد قادهم التحنيط الى معرفة كثير من الحقائق الفسيولوجية اذ نجد في قرطاس ايبرس عبارات مسهبة تتناول القلب وعملهُ

وقد ثبتت معرفتهم لكثير من الامراض التي تصيب الفلاحين بمصر الآن كادواء المعدة الناجة عن شرب المياه القذرة والديدان وغيرها من الطفيليات ومرض الاوبئليا وغيرهُ من امراض العين وامراض الجلد والبلهارسيا وهلمَّ جرًّا

ازدياد سرعة الطيران

ذكرنا في مقتطف نوفمبر الماضي ان الطيار وبستر الانكليزي فاز بكاس شنيدر في سباق الطيارات البحرية الذي جرى في ٢٦ سبتمبر الماضي قرب مدينة البندقية وان متوسط سرعتهِ بلغ ٢٨١ ميلاً في الساعة . واليك بياناً فيهِ اسماء الذين فازوا بهذه الكاس قبلهُ وسرعة كلٍّ منهم

السنة	الاسم والمملكة	السرعة بالميل بالساعة
١٩٢٠	بولونا ايطالي	١٠٢٫٥
١٩٢١	ده بريفانق ايطالي	١١٧٫٤
١٩٢٢	يارد ٥ انكليزي	١٤٦٫٥
١٩٢٣	رتهوس اميركي	١٧٧٫٣٨
١٩٢٥	دولتل اميركي	٢٣٢٫٥٧
١٩٢٦	برناردي ايطالي	٢٤٦٫٤٩
١٩٢٧	وبستر انكليزي	٢٨١٫٥٤

فيتضح من هذا البيان ان سرعة هذا النوع من الطيارات زاد اكثر من ضعفين ونصف في ٧ سنوات ومتوسط زيادة السرعة كل سنة يبلغ نحو ٢٦ ميلاً في الساعة . فاذا استمرت هذه الزيادة للسنة القادمة بلغت سرعة الفائزة في المباراة المقبلة نحو ٣٠٧ اميال في الساعة

انباء طبية

في مجلة العلم العام الاميركية ان الدكتور شارل دوڤال من جامعة تولين تمكن من عزل مكروب الحصبة وينتظر ان يخلص من ذلك الى صنع مصل يقي من المرض ويشفيه

وفي انباء المانيا ان الدكتور كارل رَبل استنبط طريقة لتقويم عظام الاطفال المعوجة بتليينها اولاً ويلزم لذلك اتباع

لنظام خاص في التغذية والتعرض لنور الشمس

وقدم الدكتور وليم هنتر المختص بدرس الاعصاب ادلة تثبت ان الاسنان النخرة قد تكون سبباً من اسباب الجنون. وايدهُ في ذلك الدكتور جولدبرج الاميركي اذ اثبت ان اصابات جذور الاسنان المزمنة تؤدي الى خلل في الجهاز العصبي

جوائز واوسمة علمية

منحت الجمعية الملكية الانكليزية مدالية كوبلي للسر شارلس شرنتن لمباحثهِ القيمة في علم الاعصاب والسر شارلس كان رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩٢٢ وقد ترجمنا لهُ خطبتهُ حينئذٍ بعنوان آلات الاعضاء الحية

ومنحت اوسمة الجمعية للسر توماس لوس لمباحثهِ في نظام الاوعية الدموية وللاستاذ مكلان الكندي لمباحثهِ في الحل الطبقي وللماجور جرينوود لمباحثهِ الاحصائية في موضوع الصحة العامة. ومنحت مدالية دايفي للاستاذ نوز لمباحثهِ في الكيمياء الطبيعية ومدالية هيوز للدكتور كولدج الاميركي لمباحثهِ في اشعة اكس

وقد انتخب المستر بولدين رئيس الوزارة البريطانية عضواً في الجمعية الملكية بمقتضى بند من قانونها جاء فيهِ انهُ يحق للجمعية ان تنتخب عضواً فيها كل رجل ادى خدمة جليلة للعلم او يعود انتخابهُ على الجمعية بفائدة كبيرة

البحث الاثري في الفيوم

جاء في ناتشر ان المس كايتون طمسن رجعت لندن قاصدة الى مصر لتستأنف مباحثها الاثرية في شمال الفيوم. وسنقف وقتها في الشتاء القادم على البحث في المدافن التي كشفتها في السنة الماضية ونأمل ان تعثر فيها على آثار توسع نطاق معرفتنا عن تاريخ هذه البقعة الجميد المتوغل في القدم حسب رأي بعض العلماء. فاذا تحققت بعض آمال المس طمسن كان عملها ذا قيمة تاريخية كبيرة. وهي موفدة هذه السنة من قبل الجمعية الملكية الانثربولوجية بلندن التي عقدت اتفاقاً مع مصلحة الآثار المصرية في هذا الصدد

وزن دم الانسان

ثبت من المباحث الطبية الحديثة على ما جاء في مجلة العلم العام، ان وزن دم الانسان يعدل ٤٫٩ في المائة من وزن جسمهِ او نحو جزء من عشرين جزءاً من وزن الجسم اي اذا كان وزنك ١٦٠ رطلاً فوزن دمك يجب ان يكون نحو ثمانية ارطال

جبل يتحرك

على بعد ثلاثة اميال الى الشمال من بحيرة ماجيورى الايطالية جبل يدعى مونتي اريبنو ارتفاعهُ ٥٥٦٠ قدماً . وقد ثبت لمصلحة المساحة الجيولوجية بايطاليا سنة ١٩٠٥ ان هذا الجبل يتحرك منذ سنة ١٨٨٨ وان قمتهُ زاحت نحو ستة اقدام الى الشرق في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٠٥ وقد اخذت سرعة تحركهِ تزداد حتى بلغت قدماً في سنة ١٩٢٦ وقد ظهر ذلك بميل الاشجار المغروسة على جانبهِ الشرقي بعدما كانت قائمة . فصدرت الاوامر الى سكان مقاطعة تيشينو ان يخلوا منطقة الخطر الواقعة حولهُ . ويرى موظفو مصلحة المساحة الجيولوجية ان الجبل يندكُّ قريباً فتسلَّ بهِ وادي اريدو الواقعة الى شرقهِ

الطيران الى الاصقاع الشمالية

يعدُّ الجنرال نوبيلي معدات بعثة جوية الى الاصقاع المتجمدة الشمالية . وقد قدمت لهُ الحكومة الايطالية البلون N4 وهو شبيه بالبلون نورج الذي طار بهِ امندسن ونوبيلي والزوروث وصحبهم من سبتسبرجن الى الاسكا مارين فوق القطب الشمالي سنة ١٩٢٦ وينتظر الجنرال نوبيلي ان يجعل سبتسبرجن قاعدتهُ فيطير منها في اوقات مختلفة الى جهات سيبيريا والبحار المتجمدة شمالها والى القطب الشمالي . وقد وعد كل من الحكومة البلشفية والنادي الجوي الروسي والجمعية الجغرافية الايطالية بامداد هذه البعثة بكل ما يلزمها من المونة

مثال جغرافي بارز لايطاليا

اقترح المهندس المعماري بيو فراكي على السنيور موسوليني ان يصنع مثالاً بارزاً لشبه الجزيرة الايطالية من جبال الالب الى راس بسارد في صقلية يمثل عليهِ كل جبالها ووهادها وانهارها وفرضها البحرية ومدنها وسككها الحديدية ويوضع هذا المثال في بحيرة صناعية قطرها ستون متراً وتمثل الانهار الكبيرة كالپو والتبر والارنو بمجاول جارية ويحفظ هذا المثال في قلاَّ اومبرتو فيطلع عليهِ طلاب المدارس . وقد وافق السنيور موسوليني على هذا الاقتراح وسيشرع قريباً في تحقيقهِ

التحليق في الجوّ

فاز الملازم تشامبين الاميركي بقصب السبق في التحليق بطيارة الى اعلى ما بلغهُ الانسان اذ بلغ ارتفاعهُ بطيارته ٤٨ الف قدم فوق سطح البحر

الجزء الرابع من المجلد الحادي والسبعين

صفحة
٣٦١ نقل القوة الكهربائية لاسلكيًا (مصوّرة)
٣٦٥ الجناح الفضي (مصورة)
٣٦٩ الرحلة الملكية الادرية . « لمؤرخ » (مصوّرة)
٣٧٢ ما يجب على المعلم
٣٧٧ سعد زغلول . للنائب الاستاذ صبري ابو علم
٣٨٥ شكسبير (مصوّرة)
٣٩٢ متى يجوع العالم . لنجيب افندي نصّار
٣٩٦ الروابط التاريخية بين مصر وسورية . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٤٠٣ متحف الاسكندرية ومكتبتها
٤٠٧ مذهب دارون في الميزان . للسر ارثر كيث (مصوّرة)
٤١٢ الحبشة تستيقظ (مصوّرة)
٤١٩ التباين الخلقي . لسعادة عثمان باشا مرتضى
٤٢٣ الاعتدال . لاسعد افندي خليل داغر
٤٠٣ افي الاثير سر الحياة والعقل . للسر اوليفر لدج
٤٣٤ شكسبير في وادي النيل

---

٤٣٨ باب المراسلة والمناظرة * وجهة التعليم النافع مقارنة بين نزعة الشرق الادنى ونزعة الغرب
٤٤٤ باب تدبير المنزل * الوقاية افضل من المداواة . شجاعة النساء . عدم النوم بميت الاشجار . اختلاف الزبل
٤٥٠ باب الزراعة * مناطق الارض وخصائصها . بحار فيضان المديد . اضرار تقريب
٤٥٦ باب التقريظ والانتقاد *
٤٦٠ باب المسائل * وفيه ١٢ مسألة
٤٦٤ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٥ بلدة (مصورة)